زهور
69



آلام الحب

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٥٩٠٨٤٥٥

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبِّ .. الحبِّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوَّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرِّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ خذينى إلى هناك ..

نظر الطبيب إلى الفتاة الجالسة أمامه ، وهو يقلب صور الأشعة بين يديه ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح التردد .

ويبدو أنها قرأت فى عينيه ذلك التردد ، فقالت له متوسلة :

ـ أرجوك يا دكتور .. أخبرنى ما الذى أظهرته لك صور الأشعة ؟

وما هى حقيقة مرضى ؟

قال لها الطبيب وهو يبعد وجهه ، حتى لا تلتقى عيناه بعينيها :

ـ لا أدرى ماذا أقول لك ؟ ولكن أظن أن من حقك أن تعلمى بحقيقة مرضك .

وصمت برهة ، وكأنه يحاول أن يستجمع شجاعته ، ليطلعها على الأمر قبل أن يقول :

ـ يؤسفنى أن أخبرك بأنك مصابة بورم خبيث فى المخ .

ظلت صامتة ، وقد ارتسمت على وجهها ملامح الوجوم ، وبدت وكأنها تحاول استيعاب ما سمعته . بينما استطرد الطبيب ، وقد ارتسمت فى عينيه مشاعر أسف حقيقى :

- لا أخفى عليك أننى قد ترددت فى مصارحتك بالأمر ؛ لأننى أعلم مدى قسوته ، خاصة بالنسبة لفتاة شابة مثلك . لكننى وجدت فى النهاية أنه لا مفر من هذه المصارحة .. لأنك لابد سوف تعلمين .. ولأننى وجدت بعض التقارير الطبية التى أطلعتنى عليها ، لأطباء آخرين ، قد أعطت تشخيصًا غير دقيق للمرض ، وقررت لك أنواعًا مختلفة من العلاج لا علاقة لها بحالتك .

قالت له وقد ازداد صوتها وهنًا :

- ربما أخطأ البعض فى التشخيص .. وأظن أن البعض الآخر قد أخفى عنى الحقيقة إشفاقًا علىّ .. ولم يجد فى نفسه الشجاعة التى وجدتها أنت لإخبارى بحقيقة مرضى .

وهزت رأسها بيأس مستدركة :

- لكنى قرأت فى أعينهم ما قرأته فى عينيك الآن .. وكنت أشعر بأن مرضى خطير ..

إننى أشكرك على صراحتك .. ولأنك كنت أكثر شجاعة من الآخرين ..

قال لها متألمًا .

- أعلم أنها صراحة قاسية .. لكن كان من حقك أن تعلمى .

وبدا حائرًا وهو يردف قائلاً :

- فى الحقيقة وبرغم أننى طبيب محترف ، وتعرضت لحالات سابقة مماثلة فى مجال تخصصى ، إلا أننى لا أجد ما أقوله من كلمات فى موقف كهذا ، وأعلم أن أىّ كلمات لن تجدى فى هذا الشأن .

قالت له وفى عينيها نظرة رجاء :

- هل هناك أمل ؟

أجابها قائلاً :

- الأمل قائم دائمًا .. فما دام اللّه موجودًا .. فالأمل قائم .. والطب الحديث يكشف كل يوم عن إمكانات هائلة فى العلاج .. إذن فالأمل فى الشفاء موجود دائمًا .

قالت له بنبرة صارمة :

- لا أريد كلمات مطلقة .. أرجوك يا دكتور .. من

الناحية الطبية ، هل وصل هذا المرض إلى مرحلة متأخرة ؟

تنهد قائلاً :

- يؤسفنى أن أخبرك بهذا .

أغمضت عينيها قائلة فى يأس .

- إذن .. فلا أمل فى الشفاء .

الطبيب :

- مع الأسف ، فإن التدخل الجراحى فى هذه المرحلة سيكون غير مجدٍ ، خاصة مع وجود هذا الورم الخبيث فى ذلك الجزء الحساس من المخ ، وحتى مع استئصال الورم ، فإن نسبة النجاح لا تتجاوز ثلاثة فى المائة .

قالت له مستسلمة :

- كم تبقى لى من العمر ؟

صمت دون أن يجيبها .

لكنها أعادت السؤال عليه مرة أخرى قائلة :

- كم تبقى لى من العمر يا دكتور ؟

أجابها قائلاً :

- ما بين عشرة أشهر وعام ، بحسب معلوماتى الطبية .. لكن فى حالات أخرى ..

قاطعته قائلة :

- أعرف أن هذا المرض يتسبب فى آلام شديدة ، تكون أحيانًا لا تطاق .. وأنا لا أريد أن أتألم .

قال لها الطبيب :

- ستنتابك بعض حالات صداع شديد ، على فترات متفاوتة .. وربما تحسين ببعض الآلام المبرحة فى المرحلة الأخيرة من هذا المرض .

قالت له وعيناها مغرورقتان بالعبرات :

- أرجوك ، حدد لى أية أدوية تؤخر الإحساس بهذه الآلام لأطول فترة ممكنة .

قال لها بإشفاق :

- سأكتب لك بعض الأدوية التى تساعد فى تخفيف هذه الآلام .

كما أظن أنك ستحتاجين للعلاج ، الكيميائى و الإشعاعى ..

قالت له بيأس :

- العلاج ؟ لقد قررت بنفسك منذ قليل ، أن حالتى ميئوس منها ؛ إذن فلا جدوى من العلاج .. فقط أريد أن أتغلب على الآلام المبرحة لهذا المرض ، إلى أن يأتى الأجل المحتوم .

أمسك الطبيب بالقلم ؛ ليكتب لها الأدوية المطلوبة قائلاً :

ـ هذه الأدوية مُكلفة قليلاً .. لكنها ستعينك على تحمل آلام المرض ، ونهض لمصافحتها قائلاً بتأثر واضح :

ـ كان الله فى عونك يا بنيتى .

قالت له وهى تغالب عبراتها :

ـ لدى رجاء آخر يا دكتور (صلاح) .

قال لها الطبيب :

ـ أنا تحت أمرك يا بنيتى .

قالت وقد انحدرت عَبْرة على وجنتها هذه المرة :

ـ لا أريد أن يعرف أحد حقيقة مرضى .. وخاصة أختى (منال) .

ـ لكن هذا المرض يحتاج لكل معاونة ممكنة .

قالت وهى تقاوم المزيد مِن العبرات ، التى اغرورقت بها عيناها :

ـ هذا المرض يسبب العديد من الآلام والأحزان .. لا داعى لأن نشرك الآخرين فيها .

ـ ما دامت هذه هى رغبتك .. فأنا أعدك بأننى لن أخبر أحدًا .

غادرت (ماجدة) عيادة الطبيب ، وهى فى حالة يرثى لها .

وأحست بأن قدميها لا تحملانها .

ثم أسلمت نفسها وهى فوق درجات السلم ، لنوبة من البكاء العنيف .

وحينما عادت إلى منزلها .. جاهدت لكى تخفى آثار الصدمة عن وجهها .. حتى لا تراها أختها وهى على هذه الحال .

استقبلتها (منال) بلهفة قائلة :

ـ بماذا أخبرك الدكتور ؟

قالت لها وهى ترسم ابتسامة باهتة على وجهها :

ـ ليس الأمر خطيرًا ، لكى تظهرى كل هذا القلق المرتسم على وجهك .

(منال) :

ـ إننى لا أدرى .. لماذا لم تجعلينى أذهب معك إلى الطبيب ؟

ـ لأن الأمر لم يكن يدعو لذلك .. فلست طفلة صغيرة لكى تصحبينى إلى الطبيب .. ثم إنه كان لديك عملك الذى يتعين عليك أن تؤديه .

- لا يوجد ما هو أهم منك لدى يا (ماجدة) .

نظرت إليها (ماجدة) ، وفى عينيها نظرة تأثر حقيقية قائلة :

- حقًا يا (منال) ؟

اقتربت (منال) من أختها ؛ لتمسح بيدها على شعرها فى حنان قائلة :

- ألديك شك فى ذلك يا (ماجدة) ؟

قالت لها (ماجدة) ، وقد انعكس التأثر على صوتها :

- كلا يا (منال) .. ليس لدى أدنى شك .. فأنا أعلم مقدار حبك لى ، وأعلم أنك قد حرمت نفسك الزواج من أجلى .. وقمت معى بدور الأب والأم بعد رحيلهما .

إنك بالنسبة لى لست أختًا فقط ، لكنك الأب والأم والصديقة وكل شىء فى عالمى .

بدا التأثر فى عينى أختها أيضًا التى اغرورقت بالعبرات .. لكنها حاولت التغلب على هذا الشعور قائلة لها :

- ما الداعى لهذه الانفعالات العاطفية الآن ؟ إنك لم تخبرينى بعد بما قاله لك الطبيب .

- أخبرنى بأننى أعانى فقط بعض التوترات العصبية .. وارتفاعًا فى ضغط الدم .. وأننى بحاجة إلى شىء من الراحة والهدوء ، لكى أسترد صحتى ، كما كتب لى بعض المهدئات التى تساعد على التغلب على التوتر العصبى .

- توتر ؟ ولكن ماذا عن هذا الصداع الشديد ، الذى كان يسبب لك آلامًا مبرحة ؟

قالت (ماجدة) وهى تتظاهر بالهدوء :

- إنه يسبب تلك التوترات العصبية ، وارتفاع ضغط الدم .

نظرت إليها أختها بارتياب ، وهى تمسك بساعديها .

- هل أنت واثقة بأن هذا هو كل شىء ؟

هزت (ماجدة) كتفيها قائلة :

- ولماذا أكذب عليك ؟

- لكن هذا لا يعنى أن تستخفى بمرضك .. فارتفاع ضغط الدم قد يؤدى إلى مضاعفات خطيرة ، إذا لم يحسن علاجه .. وكذلك تلك التوترات العصبية التى حدثك عنها الطبيب .

- بالطبع .. لذا فقد فكرت فى شىء سيساعد على تحسن حالتى الصحية كثيرًا .

ـ وما هو ؟

ـ أن نذهب إلى بلدتنا فى (كفر الشيخ) .

نظرت إليها (منال) باستغراب قائلة :

ـ البلدة ؟! لكن ما الذى ذكرك بها الآن .. إننا لم نذهب إلى هناك منذ ثلاث سنوات تقريبًا .

ـ لا أدرى .. حينما حدثنى الدكتور (صلاح) ، عن حاجتى إلى الذهاب إلى مكان هادئ ومريح للأعصاب ، تذكرت بلدتنا على الفور .. وتذكرت مدى الراحة والهدوء ، اللذين كنت أشعر بهما حينما أذهب إلى هناك .

ووجدتنى أشعر بحنين شديد إليها .

ـ لكن لم يعد لنا أحد هناك !

ـ كيف تقولين ذلك ؟ هل نسيت أرضنا هناك ؟

ابتسمت (منال) قائلة :

ـ هل تقصدين الفدانين اللذين ورثناهما من أبينا بعد وفاته ؟

لقد كنت أفكر جديًا فى بيعهما .

قالت لها أختها سريعًا :

ـ لا يا (منال) .. لا تفرطى فيهما .. على الأقل الآن .

نظرت إليها (منال) بتمعن قائلة :

ـ لماذا ؟ إنهما لا يدران دخلاً مجزيًا .. ولم يعد لدينا هناك الآن من يشرف على زراعتهما ، أو يحصل ما يدره الفدانان من المستأجرين .

ـ لدينا عم (إبراهيم) .. إنه يتولى أمر الإيجار كما كان يفعل فى حياة أبينا ، وما زال يعاملنا كما لو كنا بناته ، بطيبته وإخلاصه اللذين لا ينضبان أبدًا .

ـ عم (إبراهيم) كبر فى السن .. ولديه أمور أخرى تشغله .. فهو لن يستطيع القيام بهذا العبء الآن .. كما أننا لا نستطيع القيام به أيضًا .

ـ أرجوك يا أختى .. احتفظى بهذين الفدانين على الأقل لمدة عام ، قبل أن تفكرى فى بيعهما .

نظرت إليها أختها بدهشة قائلة :

ـ ولماذا عام ؟

ـ لأننى أريد أن أقضى عامًا هناك .

قالت لها وقد ازدادت دهشتها :

ـ عامًا كاملاً ؟ ولماذا كل هذه الفترة الطويلة ؟

تنهدت (ماجدة) قائلة :

ـ ربما قصرت عن ذلك .

تأملتها (منال) بقلق قائلة :

ـ (ماجدة) .. ماذا بك ؟

ابتسمت أختها ابتسامة باهتة قائلة :

ـ لا شىء .. كل ماهنالك أننى أشعر بحنين شديد إلى بلدتنا ، وأرغب فى قضاء فترة طويلة هناك .. خاصة بعد أن نصحنى الطبيب بذلك .

ـ ولكن ماذا عن عملك ؟

ـ أستطيع أن أحصل على إجازة بدون مرتب ، طوال الفترة التى سنقضيها هناك .. لكننى لا أعرف ظروف عملك أنت .. هل تستطيعين الحصول على مثل هذه الإجازة من أجلى ؟

قالت لها (منال) مترددة :

ـ فى الحقيقة لقد فاجأتنى .. ولا أعلم ..

قاطعتها (ماجدة) قائلة برجاء :

ـ أرجوك يا أختى .. لقد قلت منذ لحظات إنه لا يوجد ما هو أهم لديك .. منى .. وأنا أشعر بحاجتى الشديدة للذهاب إلى بلدتنا ، وإراحة أعصابى هناك .. وإذا كنت تحملين هم المصاريف ، وانقطاع الراتب الشهرى الذى كنت تحصلين عليه ، من الشركة التى

تعملين بها ، فاطمئنى .. إن مدخراتى بالإضافة إلى قيمة إيجار الأرض ، يمكن أن يغطيا مصاريف الأشهر التى سنقضيها هناك .

قالت لها (منال) باستغراب :

ـ مدخراتك ؟! إلى هذا الحد ترغبين فى الذهاب إلى بلدتنا ، حتى إنك تريدين التخلى عن مدخراتك ، وما حصلت عليه من نصيبك فى ميراث أبى ؛ لتحقيق هذا الهدف ؟!

ـ إننى أشعر بالفعل بأننى سأسترد حالتى الصحية هناك .

ـ ولكن ، أين سنعيش هناك ؟ لقد هجرنا المنزل الصغير الذى كان يضمنا هناك ، حينما كنا نسافر مع أبى ، منذ ثلاث سنوات ، ولابد أنه أصبح فى حالة يرثى لها .. خاصة وأنه كان بحاجة إلى ترميمات وإصلاحات قبل أن نغادر البلدة آخر مرة .

لقد كنت أفكر فى بيعه مع الفدانين اللذين ورثناهما عن أبى .. لذا لم أفكر فى إجراء إصلاح أو تجديد بشأنه .

ـ هذه ليست مشكلة .. يمكننا الاتصال بعم (إبراهيم)

هاتفيًا من هنا .. إنه يحتفظ بنسخة من المفتاح .. وهو يستطيع تولى كل هذه الأمور ، وإعداد المنزل ليكون صالحًا للسكنى ، فى خلال أسبوع أو عشرة أيام على الأكثر ..

ابتسمت (منال) وهى تنظر إلى أختها قائلة :

- لم أرك من قبل متحمسة لأمر ما .. مثل هذا .. لكن ما دامت هذه هى نصيحة الطبيب .. ورغبتك الشخصية .. فلا أستطيع إلا أن ألبى رغبتك .

- إذن فسنذهب إلى البلدة ؟

هزت (منال) رأسها بالموافقة قائلة :

- نعم .. سنذهب إلى البلدة .

وستأتين معى ؟

- وسآتى معك .. أظن أننى أستطيع الحصول على إجازة خاصة ، بالقدر الذى يكفيك للإقامة هناك .

احتضنتها (ماجدة) بحرارة شديدة قائلة :

- أشكرك يا أختى الحبيبة .. أشكرك من كل قلبى .

وأغمضت (ماجدة) عينيها ، وهى تحتضن أختها ، دون أن تخبرها عن سرَ مرضها الرهيب .. كما لم تخبرها بأنها اختارت تلك البلدة الهادئة الناعمة ، التى

قضت فيها أجمل سنوات طفولتها وصباها ؛ لكى تقضى فيها نحبها فى هدوء ووسط أهلها الطيبين .

اختارتها لكى تدفن فيها وتكون مثواها الأخير .

فقد رأت فى منامها منذ شهر والديها ، وهما يناديانها وسط المزارع الخضراء هناك ، ويلحّان عليها لكى تقترب منهما ..

وها هى ذى تستعد للرحيل إليهما ، لتقترب منهما .. إلى الأبد ..

★ ★ ★



٢ - سـر أختـى ..

لم تكن (الحامول) قرية صغيرة .. لكنها أيضًا لم تكن بلدة كبيرة .. لكن أكثر ما كان يميزها هو هدوؤها وطيبة أهلها ..

وبعد أسبوعين من إعلان (ماجدة) لأختها ، عن رغبتها فى الذهاب إلى البلدة ، كانت كل منهما قد أعدت الترتيبات اللازمة للسفر ، وحصلتا على إجازة من العمل ليذهبا معًا إلى هناك .

تطلعت (ماجدة) إلى الطريق المؤدى إلى منزلهما فى البلدة بعينين تفيضان حبًا وشوقًا .

هذه هى البلدة التى أحبتها ، والتى كانت تتوق دائمًا إلى زيارتها .

أحست بحاجتها الشديدة لكى تملأ عينيها من جمال الطبيعة وكل ما تراه أمامها هنا ، فبعد عام على الأكثر .. لن تستطيع أن تستمتع بهذا الجمال مرة أخرى .

لم تكن أختها تميل كثيرًا مثلها إلى هذه البلدة الريفية . برغم أنها شهدت نشأتها الأولى .. لكنها فى نفس الوقت لم تكن تكرهها .

كانت تفضل عليها دائمًا حياة المدينة .. وحينما توفى والداها بدأت صلتها تنقطع بـ(الحامول) تدريجيًا .

وها هى ذى تجد نفسها مضطرة للإقامة فيها سنة كاملة ، تحقيقًا لرغبة أختها ، وأملاً فى تحسن حالتها الصحية ، التى شهدت فى الآونة الأخيرة اضطرابات شديدة ، ونوبات صداع متفاوتة ، لكنها غير عادية ، جعلتها تشعر بالقلق من أجلها .

فمن يدرى ؟ ربما أفادت تلك الفترة التى سيقضيانها هناك فى تحسن حالة (ماجدة) الصحية ، والإسهام فى علاجها .

على أية حال .. فإنها لو لاحظت أن إقامتها فى (الحامول) ، قد أتت بنتيجة طيبة .. فلا مانع لديها من قضاء بضعة أشهر هناك .. لكنها ستحاول ألا تطول المدة التى سيقضيانها فى البلدة ، إلى سنة كاملة كما تريد (ماجدة) .. فهى لا تدرى ما الذى ستفعله هناك ؟ وكيف ستقضى أيامها ولياليها فى تلك

البلدة الصغيرة ، وهى التى اعتادت صخب المدينة والعمل .

ومن يدرى ؟ فربما تشعر (ماجدة) نفسها بعد فترة من الوقت برغبتها فى العودة إلى القاهرة مرة أخرى ..

إنها لن تجد مشكلة كبيرة ، بالنسبة لمصاريفهما فى هذه البلدة ، خاصة إذا كانت هذه المصاريف معتدلة .. فقد ترك لهما والداهما مبلغًا من المال بالإضافة لإيراد هذين الفدانين ، وهما يكفيان لتغطية العجز فى دخلهما ، بعد أن حصلتا على إجازة من العمل .. لكن المشكلة الحقيقية الخاصة بـ (منال) .. هى تلك الليالى الطويلة والمملة ، فى تلك البلدة الهادئة ، والتى لم تكن تتلاءم كثيرًا مع طبيعة (منال) النشطة والاجتماعية .

لكن يبدو أن التطور الذى لحق بـ(الحامول) ، خلال السنوات الثلاث التى ابتعدتا فيها عن البلدة ، كان كبيرًا ومذهلاً .

ففى طريقهما إلى منزلهما ، كانت هناك أشياء كثيرة مختلفة عما شاهداه من قبل .

كانت المنازل الأنيقة والحديثة قائمة على جانبى الطريق ، وكانت هناك مدارس ، ومصنع صغير لمنتجات الألبان . ونادٍ اجتماعى ، ومستشفى حديث ، وأشياء أخرى لم تعهدا رؤيتها فى بلدتهما الصغيرة .

وأحستا كما لو كانتا قد غابتا عن بلدتهما عشرين عامًا .. وليس ثلاثة أعوام فقط .

ـ نظرت (منال) إلى أختها قائلة :

ـ (ماجدة) .. هل ترين هذه الأبنية الحديثة ؟ لقد تقدمت (الحامول) تقدمًا كبيرًا واختلفت كثيرًا عما كانت عليه من قبل .

تأملت (ماجدة) تلك الأبنية ، ومبنى المستشفى قائلة :

ـ نعم .. أظن أنه قد حدثت طفرة كبيرة هنا .

ابتسمت (منال) قائلة :

ـ إن هذا سيوفر لنا بعض الخدمات العصرية .. فى تلك البلدة .

قالت (ماجدة) بضيق :

ـ لكن ألا ترين هذا الضجيج الزائد ، والذى لم تكن

نستشعره من قبل ؟.. لقد فقدت البلدة الكثير مما كـان يميزها كبلدة هادئة ، كما اختفت أيضًا مساحات كبيرة من الأراضى الخضراء لصالح تلك الأبنية الحديثة .

ابتسمت (منال) قائلة :

ـ لا شىء يبقى على حاله يا أختى العزيزة .

تنهدت (ماجدة) قائلة :

ـ كنت أتمنى أن أرى (الحامول) كما تركتها آخـر مرة .. كانت أكثر هدوءًا وجمالاً ..

ـ انتظرى حتى يأتى الليل هنا ، وستجدين السـكون الذى تنشدين .

ـ أرجو ألا يكون الناس هنا قد تغيروا هم أيضًا .

وتلفتت حولها ، وهى تسير بجوار الترعة الصغيرة ، التى تخترق الحقول ، فى الطريق الترابى المؤدى إلـى منزلهما قائلة :

ـ لكن أين عم (إبراهيم) ؟ لماذا لم يأت لمقابلتنا ؟

ـ فى الحقيقة أنا لم أحاول أن أخطره ، بأننا سنأتى اليـوم .. فـالرجل مسـنٌ ولا داعـى لتكليفـه مشـقة انتظارنا فى المحطة .

ومع ذلك .. فلابد أنه قد علم الآن بـأمر حضورنـا إلى البلدة ؛ لأنه لا شىء يمكن إخفاؤه هنا ..

وسوف تجدينه يهرع إلينا بعد قليـل .. وبمجرد أن نضع أقدامنا داخل المنزل ..

ابتسـمت (مـاجدة) وهى تنظر إلـى ذلـك الرجـل الطويل القامة ، والذى تركت السنون بصماتها عليه ، بانحنـاءة بسيطة فى الظهر ، وبعض التجـاعيد فـى الوجه ، وهو يأتى نحوهما مهرولاً .. وقد أخذ يلوح لهما ، ثم قالت :

ـ مصداقًا لكلامك ، ها هو ذا عم (إبراهيم) ، يأتى مهرولاً نحونا .. ولم ينتظر حتى وصولنا إلى المنزل .

استقبلهما الرجل بابتسامة ودود مرحبًا وهو يقول :

ـ أهلاً .. أهلاً .. نورتم البلد .

صافحته (منال) قائلة :

ـ أهلاً بك يا عم (إبراهيم) .

ـ لماذا لم تخبرانى بحضوركمـا اليوم إلى البلـدة ؛ حتى أكون فى استقبالكما ؟

ـ لم نرد أن نزعجك .

قال لها مستنكرًا :

ـ تزعجانى ؟ أنتما ابنتىَ ، وأغلى الأشخاص لدىَ .. رحم الله والدكما .

تذكرت (ماجدة) أباها فى هذه اللحظـة ، وتذكـرت ابتسامته الطيبة وهو يقول لها :

ـ تذكرى يا بنيتى كلمـا ضاقت بك الحيـاة ، واشـتد بك الأمر ، أن تأتى إلى هنا ، فهذه البلدة بمثابة واحة الراحة والأمان لكل مهموم وحائر .

سألته (ماجدة) قائلة :

ـ ما أخبار ابنتك (سعاد) يا عم (إبراهيم) ؟

قال لها الرجل ، وقد أسعده أن الفتاة مازالت تتذكـر ابنته وتسأل عنها .

ـ بخير .. إنها تحيا حياة هانئة مع زوجها ، ولديها طفلان جميلان والعقبى لكما .

تنهـدت (مـاجدة) .. إن (سـعاد) ابنـة الحــاج (إبراهيم) فى مثل عمرها تقريبًا ، وكانتا صديقتين .. بل هى صديقتها الوحيدة فى هذه البلدة .

وكانت كل منهما تتحدثُ إلى الأخرى ، عن أحلامها فى الزوج ، الذى تتمناه فى المستقبل .

كـانت (سـعاد) تريـده طويـلاً وعريضًـا وأسـمر البشرة .. وكانت تتمنى أن يكون فى مثل صلابة أبيها وقت الأزمات .. وحنونًا طيبًا كلما احتاجت إلى حنانه .

وكانت أحلامها تقترب من أحلام (سعاد) بالنسبة للشخص الذى تأمل أن يكون زوجها .

وعادت لتتنهد مرة أخرى ، وهـى ترجـو أن تكـون (سعاد) قد تزوجت من الشخص الذى تمنته وحلمت به .

أمـا هـى فقـد أصبحـت تـدرك جيدًا أن حلمهـا بــات مستحيلاً .

بل لم يعد من حقها أن تحلم ، فهى ستودِّع الحياة بعد أشـهر قليلـة ، وستزف إلـى الرفيـق الأعلـى فــى رحلة النهاية ..

نظر إليها الحاج (إبراهيم) قائلاً :

ـ ست (ماجدة) .. هل هناك شىء ؟

اصطنعت ابتسامة باهتة ، وهى تحاول التغلب علـى حزنها قائلة :

ـ لا .. لاشىء .. ليتك تخبر (سعاد) بأننى أرغب فى رؤيتها .

ـ بالتأكيد .. إنها ستسرّ كثيرًا ، حينما تعلم بعودتكما إلى بلدتنا .

سألته (منال) قائلة وهى تسير إلى جواره .

ـ هل أجريت اللازم بشأن المنزل ؟

ـ لقد تم تجهيز كل شىء كما أخبرتك فى التليفون .. وأصبح المنزل معدًا تمامًا لإقامتكما .

وصمت برهة قبل أن يقول لها فى خجل :

ـ لكن اسمحى لى يا ست (منال) بسؤال ـ وإن كان فى تساؤلى هذا تطفل منى ـ ما سبب رغبتكما فى الإقامة بمفردكما فى هذه البلدة ، بعد هذه السنين التى ابتعدتما فيها عنها ؟

ـ لقد أشار الطبيب على (ماجدة) ، بالإقامة لفترة من الوقت فى الريف . فهو يرى أن الهواء النقى والهدوء ، سيعيد إليها حيويتها ونشاطها .

ـ بالطبع .. إن المناخ هنا أفضل بكثير من جو المدينة الفاسد . والضجيج المنتشر هناك .

ـ ولو أنى أرى أن مساوئ المدينة ، قد بدأت تزحف إلى هنا .. فالناس هنا أصبحوا أكثر عددًا وصخبًا .. كما أن المصانع قد بدأت تعرف طريقها إلى البلدة .. وأرى أيضًا أن بعض المعالم قد تغيرت .

ضحك الرجل قائلاً :

ـ نعم .. معك حق .. والفضل فى هذا للأستاذ (خالد) .

سألته (منال) قائلة :

ـ ومن هو الأستاذ (خالد) ؟

قال لها الحاج (إبراهيم) وكأنه يستنكر سؤالها :

ـ (خالد الشناوى) ، ابن المرحوم (عزمى الشناوى) من أعيان البلد .

ـ آه .. أذكر أننى سمعت هذا الاسم .

ـ لقد قضى (خالد) شطرًا كبيرًا من حياته فى أوربا .. خمسة عشر عامًا تقريبًا .. وكان يأتى فى إجازات قصيرة لزيارة أبيه ، لكن حينما مات الأب ، عاد من أوربا .. وكان الجميع يظنون أنه لو اختار الاستقرار فى مصر ، فسوف يختار مدينة كبيرة مثل القاهرة أو الإسكندرية ، خاصة بعد أن أصبح يمتلك ثروة ضخمة ، جمعها من عمله فى الخارج ، ومن الثروة التى خلفها له أبوه .

لكن من الغريب أنه اختار الإقامة فى (الحامول) .. دون سواها من المدن والبلاد الأخرى ، وقام بتجديد منزل والده وتوسيعه .. ثم بدأ يقيم بعض المشروعات والمنشآت لصالح البلد .

فأقام مصنعًا لمنتجات الألبان .. ومستشفى على

أحدث طراز ، ومـزارع لتربيـة العجـول .. ووظـف العديد من أبناء البلدة فى العمل لديه .

تحدثت (ماجدة) قائلة :

ـ شىء مدهش ، أن يضحى شاب عاش فى الخارج خمسة عشر عامًا ـ كما تقول ـ بكل الرفاهية التى تتسم بها الحياة فى أوربا .. ليأتى ويحيا هنا فى بلدة صغيرة كهذه .

ثم يسخر ثروته ، من أجل إقامة عدد من المشروعات والمنشآت لصالح بلدته وبلدة أبيه .

نظرت (منال) إلى أختها قائلة بلهجة ذات مغزى .

ـ يبدو أن للحامول سحرًا خاصًا ، يجتذب إليها الناس .

كانوا قد وصلوا إلى المنزل فى أثناء استغراقهم فى الحديث ، حيث وقفت (ماجدة) تتأمل المنزل الذى شهد أجمل أيام طفولتها وصباها ، وقد أحست بعاطفة قوية ، لم تحسها من قبل تجاه المكان ..

ووجدت نفسها تتنهد بعمق ، وقد اعترت وجهها مسحة من الحزن ؛ فعما قريب لن ترى هذا المنزل مرة أخرى .

لقد أحست دائمًا بالأمان والراحة فى (الحامول) .

كانت تحب أهلها ونسمات الهواء العليل فيها .

كما كانت تسعد دائمًا بإقامتها فى هذا المنزل .. لكنها لم تكن تعرف أنها تحب هذه البلدة ، وهذا المنزل ، كل هذا الحب .

كانت أختها قد تخطت بوابة المنزل الأمامية ، حينما استوقفها عدم لحاق أختها بها .. ورأتها وهى تحدق فى المنزل على هذا النحو الغريب ، فنادتها قائلة :

ـ (ماجدة) !

تخلصت (ماجدة) من الحالة الوجدانية التى تسلطت عليها .. ولحقت بأختها لتسألها ، ونظرة استغراب فى عينيها قائلة :

ـ لماذا تحدقين فى المنزل هكذا ؟!

أجابتها أختها قائلة :

ـ لقد أوحشنى المكان .

أمسكت (منال) بيدها ، وهى تصحبها إلى الداخل قائلة :

ـ بعد عدة أشهر ستملّينه ، وتطلبين العودة إلى القاهرة بأسرع ما يمكن .

تنهدت (ماجدة) قائلة :

ـ لا أظن أننى سأعود إلى القاهرة مرة أخرى .

ـ هل ستقضين بقية حياتك هنا ؟

ابتسمت (ماجدة) قائلة :

ـ من يدرى ؟

ضحكت (منال) قائلة :

ـ أراهن علىّ أنك بعد شهر أو اثنين ستغيرين رأيك .

ثم استطردت قائلة :

ـ ولو أنى أفضل أن تقضى بضعة أشهر ، حتى تتحسن صحتك كما أشار عليك الطبيب .

ضحك الحاج (إبراهيم) ، وهو يستمع لحديثهما قائلاً لـ (منال) :

ـ الآنسة (ماجدة) بحاجة لبعض الوجبات الريفية الدسمة .. أؤكد لك أن هذه هى الطريقة المثلى ، لكى تسترد صحتها .. بل إنها ستعود أفضل مما كانت عليه من قبل .

دخلا إلى المنزل حيث تأملت (منال) المكان حولها .

سألها الحاج (إبراهيم) :

ـ أتمنى أن يكون المكان قد حاز رضاكما .

أبدت (منال) رضاها عما تم إنجازه قائلة :

ـ لقد أتعبناك معنا يا حاج (إبراهيم) .

قال لها وهو يهم بمغادرة المنزل :

ـ أنا وعائلتى فى خدمتكما دائمًا .. فأفضال والدكما علىّ لا تعد ولا تحصى ، سأرسل لكما بالبنت (فتحية) لتلبى طلباتكما ، وتقوم على خدمتكما .

شكرته (منال) وهى تغلق الباب خلفه .. ثم تحدثت إلى أختها قائلة :

ـ أظن أن المكان ما زال بحاجة لبعض التعديلات .

ـ لا بأس به على هذا النحو .

مرت الأيام التالية على (منال) رتيبة ومملة .. فهى لم تستطع أن تتأقلم مع عادات وتقاليد الناس هنا .. وكان هذا الإحساس يراودها دائمًا ، كلما أتت إلى (الحامول) .. فهى لم تكن تحب هذه البلدة كثيرًا . وعدا بعض النزهات البسيطة ، التى كانت تقوم بها مع أختها بين الحقول الخضراء فى بعض الأمسيات ، فلم تكن تجد ما يسترعى الاهتمام أو يبعث على التسلية . وحتى هذه النزهات التى كانت تحقق لها نوعًا من

التسرية البسيطة فى البداية ، بدأت تفقد تأثيرها مع مرور الأيام .

وساعد على ازدياد إحساسها بالملل والضيق ، تلك الحالة التى كانت تبدو عليها أختها ، فقد كانت صامتة دائمًا .. ولم يكن هذا باعثًا على الملل فقط .. لكنه كان مثيرًا للقلق أيضًا .

فهى لم تر (ماجدة) على هذا النحو من قبل .

لقد كانت أختها تتميز دائمًا بحيويتها وخفة ظلها .. لكنها أصبحت غريبة فى تصرفاتها ، منذ أن جاءت إلى هنا .

فهى شاردة دائمًا .. وكأنها تحلق بأفكارها ، بعيدًا عن المكان والزمان اللذين تتواجد فيهما .

وتلك النظرة الحزينة فى عينيها ، والتى لا تعرف لها سببًا ، أصبحت تسبب لها قلقًا بشأنها .

أحست أن هناك سرًا يكمن وراء حالتها الغريبة هذه .

سرًا تخفيه عنها .. وهى التى لم تكن تخفى عنها أية أسرار تخصها من قبل .

وتساءلت فى حيرة وقلق .. ترى ما الذى تخفيه

عنها أختها ؟ وما سر هذا الحزن الذى أصبح يغلف وجهها ؟ هل هو بسبب تدهور حالتها الصحية فى الآونة الأخيرة ؟

لكنها سألت الطبيب .. وأكد لها أن الأمر ليس خطيرًا .. ولا يستدعى القلق . وأن كل ما تحتاج إليه هو مناخ صحى مناسب ، وتغذية جيدة ، مع نظام علاجى محدد ، لتستعيد نشاطها وحيويتها .

إذن .. فلا يمكن أن يكون هذا هو السبب .

هل هى تجربة عاطفية فاشلة تعرضت لها ، وأخفت أسرارها عنها ؟

ربما .. وربما تكون قد جاءت إلى هذا المكان ، هربًا من نتائج هذه التجربة .

ولكن لماذا لم تخبرها بذلك ، ولماذا لا تشركها فى همومها ، كما كانت تفعل من قبل ؟

ظل ذلك السؤال يلح عليها ويزيد من مخاوفها بشأن أختها ، ولم تهتد إلى إجابته ..

★ ★ ★

٣ - مشاعر غامضة ..

أحست (منال) بارتياح شديد ، وهى ترى الابتسامة على وجه أختها لأول مرة منذ أن جاءا إلى هذا المكان .

اقتربت منها قائلة :

- أخيرًا ابتسم هذا الوجه الجميل .

نظرت إليها (ماجدة) قائلةً :

- وما الذى يمنعنى من أن أبتسم ؟

- هذا هو ما كنت أتساءل عنه خلال الأيام الماضية .

- بالعكس .. إننى سعيدة لأننى جئت إلى هنا .

- لم أكن ألحظ ذلك عليك .

لامست (ماجدة) ذقن أختها بأصبعها ، قائلة بلهجةٍ مداعبة .

- هذا لأنك لست قويةَ الملاحظة يا أختى العزيزة .

- ربما .. ولكنى مازلت أتساءل : ما الذى يسعدك فى هذا المكان الممل الرتيب ؟

- إننى أجد هنا الراحة والطمأنينة التى أفتقدهما .

- ألم يكن لديك إحساس بالاطمئنان فى القاهرة ؟

- هل نسيت أن أبوينا دفنا هنا ؟ كم أتمنى أن أموت هنا وأدفن هنا أيضًا .

قالت لها (منال) سريعًا ، وقد عاودها قلقها بشأن أختها :

- ما الداعى للحديث عن الموت الآن ؟

- لا أدرى ما الذى يخيفنا من الموت ؟ برغم أنه قدرنا الحتمى ؟

- دعك من هذه الأحاديث المقبضة ، ولا تفسدى علىَ بهجتى بابتسامتك الجميلة هذه .

- ما رأيك لو قمنا بنزهة قصيرة ؟

- ولو أنى قد مللت هذه النزهات .. بين تلك الحقول الصامتة .. إلا أننى لن أمانع ، لو كانت هذه هى رغبتك .

- دعينا نذهب إلى حقل عم (إسماعيل) ، لنأكل ذرة مشوية هناك .

- لكننى لا أرتاح لأكل الذرة المشوية .

- دائمًا لا تحبين الأشياء التى أحبها .

ـ لأن طبيعة كل منا مختلفة عن الأخرى .

ضحكت (ماجدة) قائلة :

ـ حتى فى أكل الذرة .

ـ لكنى لا أظن أن بيننا أى اختلاف ، فى مقدار الحب الذى تكنه كل منا للأخرى .

أمسكت (ماجدة) بيدها فى حنان قائلة :

ـ من المؤكد يا (منال) .. إن حبنا لبعضنا وارتباط كل منا بالأخرى لا يمكن أن يكون مختلفًا .

داعبت (منال) خصلات شعر أختها قائلة :

ـ هيا بنا .

سألتها أختها وهما يسيرانِ معًا قائلة :

ـ ما رأيك لو غيرنا قليلاً من نزهتنا المعتادة ، وجولنا لأبعد من ذلك ؟

ـ كنت أود أن أقترح عليكِ نفس الاقتراح .

ابتهجت (منال) قليلاً ؛ لأن هذا كان يعنى بعض التغيير ، عما اعتادا أن يفعلاه يوميًا .. ويعنى اقترابهما قليلاً من بعض مظاهر المدنية التى طرأت على القرية .

وصلتا السير حتى وصلتا إلى مصنع منتجات الألبان .. حيث تطلعت (ماجدة) إليه قائلة :

ـ كم أود رؤيته من الداخل !

قالت لها أختها ببرود :

ـ وما الذى يمكنك أن تريه فى مصنع لمنتجات الألبان ؟

وفجأة سمعتا صوت فرامل قوية ، بالقرب منهما .. وفوجئتا بمقدمة سيارة وهى تتوقف على بعد سنتيمترات قليلة منهما ، محدثة صوتًا مزعجًا للغاية .

ارتعدت فرائصهما ، وهما تريان تلك السيارة الرمادية الكبيرة ، وقد كانت على وشك أن تصطدم بهما .

لم تتمالك (منال) أعصابها ، وهى تصيح فى سائقها قائلة :

ـ لقد كدت أن تقتلنا بتهورك هذا .

وما لبث أن غادرها شاب ، يبدو أنه قد تخطى الثلاثين من عمره ببضع سنوات قليلة .

وقد بدا بقامته الفارعة ، ووجهه الأسمر الوسيم ، وجبهته العريضة ، أشبه بأحد فرسان العصور الوسطى .

قال لها الشاب معتذرًا :

ـ آسف .. لكن أقسم لك إن هذا لم يكن تهورًا منى .
قالت له (منال) محتدة :
ـ بماذا تسمى ذلك إذن ؟
أجابها الشاب قائلاً :
ـ لقد كنت أحاول تفادى بقرة تعبر الطريق .
قالت له وقد ازدادت حدتها .
ـ تتفادى بقرة لتصطدم بالآدميين .
قال لها بجدية :
ـ الحمد لله لم يحدث ضرر .
ـ لكنك أصبتنا بالرعب والهلع .
تدخلت (ماجدة) فى الحديث قائلة لأختها ، وهى تحاول أن تهدئ من ثائرتها :
ـ الحمد لله يا (منال) .. ما دمنا لم نصب بضرر ، فلا داعى لكل هذا الانفعال .. ثم إن الأستاذ له عذره .. لقد ظهرت هذه البقرة فى طريقه فجأة ، وكان يتعين عليه أن يتفاداها .
قال لها وهو يمد يده مصافحًا :
ـ اسمى (خالد) .. (خالد الشناوى) .. يسرنى أن أتعرفكما يا آنسة .. وأظن أنك أكثر تقديرًا للموقف من زميلتك .

هتفت (ماجدة) قائلة :
ـ (خالد الشناوى) .. هل أنت صاحب هذا المصنع ؟
أجابها قائلاً :
ـ نعم .
ـ لقد سمعنا أنك من الأثرياء .. بل إنك أثرى أثرياء البلد .
قال لها بمرح :
ـ هل أعتبر هذا إطراءً .. أم حسدًا ؟
صافحته (ماجدة) مرة أخرى بحرارة قائلة :
ـ اسمى (ماجدة) .. (ماجدة فهمى) .. إننى سعيدة للغاية بمعرفتى لك .
ابتسم فى هدوء وهو ينظر إلى (منال) قائلاً :
ـ أظن أن الآنسة صديقتك .
قالت له (ماجدة) سريعًا :
ـ بل أختى .. أختىَ الكبرى .. (منال) .
مد لها يده مصافحًا وهو يقول :
ـ أهلا بك فى بلدتنا يا آنسة (منال) .
صافحته (منال) بجفاء ، تعمد هو أن يتجاهله ، وهو يتحول إلى أختها قائلاً :

- هل جئتمـا لزيـارة أحد الأشخـاص هنـا فى (الحامول) ؟

أجابته (ماجدة) قائلة :

- إن (الحامول) هى بلدتنا ، ونحن نقضى إجازتنا هنا .

- حقًا .. لكنى لم أركما هنا من قبل .. من أى أسرة أنتما ؟

أجابته (منال) هذه المرة قائلة :

- إننا من أسرة المرحوم (فهمى القناديلى) . وقد جئنا إلى هنا مرات عديدة ، وعشنا فترة من حياتنا فى (الحامول) ، بينما كنت أنت تعيش فى أوربا .

ابتسم قائلاً :

- حقًا .. لقد ابتعدت فترة طويلة عن البلدة .. لكن هأنذا قد عدت إليها مرة أخرى .

- لقد سمعنا أنك تنوى الاستقرار هنا .

- ليس بهذا المعنى بالضبط .. لكننى أقمت بعض المشروعات الصغيرة هنا .. وهذا يحتاج منى إلى أن أكون موجودًا فى البلدة لفترة من الوقت كل عام .

لكن هذا لا يعنى أن أكون مقيمًا بصفة دائمة ..

فلدى أعمال أخرى فى القاهرة والإسكندرية .. تستدعى منى السفر بصفة دائمة والتنقل بين عدة جهات .

واستطرد قائلاً وهو يوجه حديثه إلى (منال) :

- وهل جئتما إلى (الحامول) لزيارة أحد أقاربكما ؟ أم لقضاء إجازة قصيرة هنا ؟

- فى الحقيقة لم يعد لدينا أقارب فى (الحامول) .. كان أبى هو آخر من استقر فى البلدة .. وبعد موته لم يعد متبقيًا لدينا هنا سوى منزل صغير فى أطراف البلدة .. وفدانين .. مستأجرين ، هما كل ما ورثناه عن والدنا .

- إذن فقد جئتما فى إجازة قصيرة لزيارة البلدة .

ابتسمت (ماجدة) قائلة :

- فى الحقيقة إنها ليست قصيرة تمامًا .. لقد جئنا لنقضى إجازة حتى نهاية العام هنا .

- بمفردكما .

- وما المانع ؟

ابتسم (خالد) قائلاً :

- لا شىء .. لكن من الغريب أن تأتى فتاتان من القاهرة لتعيشا هنا بمفردهما ، فى بلدة صغيرة كهذه .

ـ من الأغرب أن تقول أنت هذا ، فأنا أظن أنك عشت فى أوربا ، وقتًا كافيًا لكى يجعلك لا تبدى كل هذه الدهشة ، من إقامة فتاتين ناضجتين بمفردهما فى منزل أبيهما وبين أناس يتميزون بالطيبة ، ويعدون أنفسهم بمثابة الأهل بالنسبة لنا .

ثم إن هذه البلدة الصغيرة التى تتحدث عنها ، هى نفسها التى اخترتها لتكون مقرًا لإقامتك وإقامة بعض مشروعاتك .

ـ لا أقصد ذلك .. إننى أقصد ، ما الذى يغرى فتاتين فى مقتبل العمر مثلكما ، بالإقامة فى هذه البلدة التى لا يوجد بها الكثير من وسائل اللهو والتسلية ، كل هذه الأشهر الطويلة ؟

تدخلت (ماجدة) فى الحديث سريعًا قائلة :

ـ لأننا بحاجة لفترة من الهدوء والاستجمام ، بعيدًا عن صخب المدينة .. وهذا مكان مثالى لذلك .

ـ هل تعملان ؟

ـ نعم .

ـ وماذا عن عملكما ؟ هل ستتغيبان عنه كل هذه الفترة الطويلة ؟

قالت له (منال) بحدة :

ـ هل تنوى إجراء تحقيق معنا ؟

قال لها (خالد) بنبرة هادئة :

ـ لم أقصد ذلك بالطبع .

تدخلت (ماجدة) فى الحديث مرة أخرى ، وهى تعتذر قائلة :

ـ آسفة .. لم تقصد أختى أن تكون جافة معك .

ـ حقيقة أن أختك حادة الطباع بعض الشىء .

قالت (منال) لأختها بعصبية :

ـ هيا بنا لنستكمل جولتنا .

قالت لها (ماجدة) ، وقد أحست بشىء من الخجل والارتباك لتصرف أختها :

ـ انتظرى قليلاً يا (منال) .

قال (خالد) فى حرج :

ـ فى الحقيقة إننى لا أدرى .. ما الداعى لهذه العصبية ؟ أنا لم أقصد أن أكون متطفلاً بأى حال من الأحوال .

قالت (ماجدة) :

ـ إن (منال) متوترة ؛ لأنها تشعر بالملل من الحياة هنا .

- لكنك قلت لى منذ لحظات إن هذا المكان مثالى للبحث عن الهدوء والاستجمام .

- هذا بالنسبة لى .. أما بالنسبة لـ (منال) ، فالمكان يبعث على السأم .

- ما رأيكما لو دعوتكما لزيارة مصنعى ، ومشاهدة طريقة إعداد منتجات الألبان على الطبيعة ؟ ولو على سبيل التغيير وكسر روتين الحياة هنا .

هللت (ماجدة) لهذا الاقتراح قائلة :

- حقًا .. ليتنا نفعل ذلك .

لكن (منال) تدخلت فى الحديث قائلة :

- فلنؤجل ذلك لما بعد .

قالت لها (ماجدة) متوسلة :

- لماذا يا (منال) ؟ إننى أتمنى ..

لكنها قالت لها بحسم :

- قلت لك سنؤجل ذلك لما بعد .

هزت (ماجدة) كتفيها بيأس .

بينما قال لهما (خالد) بهدوء :

- كما ترغبان .. على أية حال ، إن مصنعى تحت أمركما .. إذا أردتما زيارته فى أى وقت .

وانصرفتا تتبعهما نظرات (خالد) .

وفى الحقيقة كانت نظراته ترقب (منال) بأكثر مما ترقب أختها .

سألتها (ماجدة) قائلة :

- لماذا تعاملت معه على هذا النحو ؟

- إنه إنسان متطفل .. ووقح .

قالت لها (ماجدة) بدهشة .

- (خالد) ؟ إنه أبعد ما يكون عن ذلك .. على العكس إنه يبدو لطيفًا ورقيقًا ومهذبًا للغاية .

- لقد نعتنى أولاً بأننى أسىء تقدير المواقف .. ثم بحدة الطبع .. ولا أدرى بأى حق سمح لنفسه بأن يحدد شخصيتى على هذا النحو .. ثم محاولته تعرف أمور شخصية خاصة بنا بهذا الإلحاح .

- لقد كان تصرفك معه هو الدافع لذلك .. ثم إنه حاول أن يتودد إلينا ، ويتعرف إلينا باعتبار أنه لم يرنا من قبل فى البلدة .. ولا أظن أن فى هذا ما يسىء .. فهذه طباع كل أهل البلدة هنا .

- إنه لا ينتمى للبلدة بأى حال من الأحوال .. إنه شخص عاش حياته فى أوربا ، وجمع مبلغا من المال ، يريد أن يستغله فى أحد مشروعاته هنا ..

ثم إننــى لا أحـب أن تتساهلى فـى الحديـث مـع الآخرين هكذا .. فمن يدرى .. ما الذى يهدف إليه أمثال هذا الشخص ، من التحدث إلى فتاتين مثلنا ؟ وما هى نظرته إلينا ؟

ـ أظن أنه شخص محترم ، بالقدر الذى يسمح لى بالتحدث إليه .

كما أظن أن سبب حنقك عليه ، هـو أنـه أبـدى اهتمامًا أكثر بى .

تحولت إليها (منال) بغضب قائلة :

ـ ماذا تعنين بذلك ؟

ـ أقصد أنك أختى الكبيرة .. لكنك تتصرفين كطفلـة صغيرة .

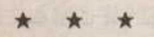
إن الواجب يستدعى منك أن تعتذرى لهذا الرجل .. فقد تصرف معنـا بكل لطف واحترام .. وكان يتعين علينا أن نشكره .. لا أن نعامله هذه المعاملـة الجافة التى لا مبرر لها .

صمتت (منال) دون أن تخبرها ، بأن سر جفائهـا وعصبيتها ، هو أنهـا أحسـت بشـىء خفـى يحـرك مشاعـرها تجـاه هذا الرجل ، وأنهـا لأول مرة أحست

بقلبها يخفق بشدة تجاه شخص ما .. وبدون وعى منها .

لقد أصابها هـذا بـالخوف والارتبـاك .. وأحسـت وكأنها تدفع عن نفسها خطرًا تجهلـه .. ومشـاعر مبهمة لا تدرى كنهها .

لقد أحست وكأن هذا الرجل يكاد أن يخطف قلبها منها ، ويوقعها فى حبه .





٤ ـ حوار صامت ..

عادت (منال) إلى المنزل ، لتجد أختها جالسة برفقة (سعاد) ابنة الحاج (إبراهيم) ، وهما يتحادثان معًا .

سألتها (ماجدة) قائلة :

ـ أين كنت ؟ لقد استيقظت فلم أجدك بجوارى .

قالت (منال) :

ـ ذهبت إلى مكتب البرق لإرسال برقية تعزية .. فقد تلقيت اتصالاً تليفونيًا هذا الصباح ، علمت منه أن والدة إحدى زميلاتى فى العمل قد توفيت .

ـ هل كنت تعرفينها ؟

تنهدت (منال) قائلة :

ـ نعم .. كانت إنسانة طيبة للغاية .. وقد حزنت كثيرًا من أجلها .

قالت (ماجدة) وقد أشفقت على أختها .

ـ لا تسرفى فى الحزن على الآخرين .

نظرت (منال) إلى أختها فى دهشة قائلة :

ـ أنت التى تقولين ذلك ؟!

ـ ولماذا تستغربين ؟

ـ لأننى عرفتك دائمًا إنسانة حساسة ، وسريعة التأثر بمآسى الآخرين .

نظرت (سعاد) إلى صديقتها قائلة :

ـ نعم من الغريب أن تقولى هذا ، مع ما أعرفه عن شخصيتك .

قالت (ماجدة) :

ـ لقد تعلمت أنه علينا ألا نحزن على أمور ، لا سلطان عليها إلا للقدر .

قالت (منال) :

ـ لكن هذا لا يمنعنا من التعبير عن مشاعرنا ، تجاه أولئك الذين أحببناهم ، وحرمنا القدر منهم .

ـ لم أقل لك ألا تعبرى عن مشاعرك ، أو تحزنى .. لكن عليك ألا تسرفى فى أحزانك .. فلن تنالى من ذلك سوى الألم .

قالت (سعاد) وهى تحاول أن تغير مجرى الحديث :

ـ دعونا من هذا الحديث الكئيب .

لكن (ماجدة) أصرت ، وهى تنظر إلى أختها قائلة :

ـ هل تعديننى بذلك يا (منال) ؟

نظرت إليها (منال) ، وقد اعتراها شىء من الضيق قائلة :

ـ ما الذى تعنينه بذلك ؟

ـ لا شىء .. إننى لا أطلب منك سوى وعد .

ـ وكأنك تنتظرين واقعة مفجعة .

ثم استطردت قائلة :

ـ (ماجدة) إنك منذ أن جئنا إلى هنا ، وأنت تتصرفين بغرابة .. وأشعر أحيانًا وكأننى لا أفهمك .

ضحكت (ماجدة) وهى تحاول التخفيف عن أختها :

ـ أنت التى تبالغين فى فهم معنى كلماتى .. فقط أريد منك أن تبتهجى للحياة ، وألا تستسلمى لأحزانها .. هذا هو ما عنيته بكلماتى ، فلا داعى لكى تنعتينى من آن لآخر بالغرابة .. وتنظرى إلىّ وكأننى مخلوقة غريبة .

قالت (سعاد) موجهة حديثها إلى (منال) :

ـ لماذا لم ترسلى الولد (مخيمر) بالبرقية ، بدلاً من أن تسيرى بنفسك كل هذه المسافة ، إلى مكتب البرق ؟

ردت (منال) :

ـ وكيف يتغلب المرء على رتابة الحياة هنا ، إلا بقطع مثل هذه المسافات على قدميه ؟

لقد اكتشفت أن للسير بين الحقول ، فى الساعات المبكرة من الصباح ، بهجة أكبر منها ساعة الغروب .. فالهواء فى الصباح المبكر هنا رائع .

ضحكت (سعاد) قائلة :

ـ نعم اسألينى أنا عن ذلك .

قالت (منال) وهى تجلس بين أختها وصديقتها :

ـ بالمناسبة .. لقد رأيت ذلك الرجل الذى التقينا به بالأمس ، يسير وسط مجموعة من المزارعين ، وقد التفوا حوله كما لو كان ملكًا متوَّجًا .

ابتسمت (ماجدة) قائلةً :

ـ ولماذا لا تذكرين اسم ذلك الرجل ، برغم أنك تعرفينه جيدًا ؟

لماذا لا تقولين إنك رأيت (خالد) مباشرة ؟

هللت (سعاد) قائلةً :

ـ (خالد) بك ؟

قالت (منال) وهى تتظاهر بالامتعاض :

ـ نعم .. (خالد) بك .

قالت (سعاد) ووجهها ينم عن تقدير واحترام شديدين للرجل :

ـ حماه الله ورعاه .

قالت (ماجدة) :

ـ من الواضح أنكم تحبونه كثيرًا هنا .

ـ إن له أفضالاً كثيرة على البلد وأهلها .. تمامًا كما كان أبوه من قبل .

تدخلت (منال) فى عصبية .

ـ من الواضح أنكم سذج لو تصورتم أن المستشفى والمصنع والمزرعة ، التى يمنّ بها عليكم ، أقامها لوجه الله ، أو لأجل سواد أعينكم ..

إنه رجل أعمال .. والأمر لا يتعدى بالنسبة له مشروعات تجارية يقيمها هنا ويتربح من ورائها .

وهو يستفيد هنا من أيد عاملة رخيصة .. تقتنع ببعض المبالغ الزهيدة التى يقدمها لها .. ومن طيبة أهل البلدة ظنوا أنه جاء لهم باليمن والبركات .

قالت (سعاد) معترضة :

ـ ليس لك أى حق فيما قلته يا (منال) .. فما المانع

من أنْ يربح الرجل ويربح من ورائه الكثيرون هنا ؟!

لقد كان الكثير من شباب البلدة عاطلين بلا عمل ، ووجدوا فى تلك المشروعات التى أقامها (خالد بك الشناوى) ، مصدر رزق لهم .

وهو لم يرفض قط طلبًا لأحد من أهل (الحامول) .. للعمل لديه ، إذا كان متعطلاً عن العمل ، حتى لو كان يزيد على حاجته .

ثم إنه يدفع أجورًا مجزية للعاملين لديه ، ومن بينهم زوجى على سبيل المثال ، الذى يعمل فى مزرعته .

ـ هذا يفسر سبب دفاعك عنه .

ـ إن (خالد بك) ليس بحاجة لمن يدافع عنه .. فأعماله والخير الذى جلبه معه للبلدة ، يشهدان له . وليس للأمر علاقة بعمل زوجى فى مزرعته .. فهناك الكثيرون يفتحوْن بيوتًا من وراء أعمال (خالد بك) . بارك له الله فى ماله .

وأيضًا فإن كل مشروعاته لا تهدف إلى الربح كما تقولين .. فالمستشفى الذى بناه للبلدة على أحدث مستوى ، ووفر له أفضل الإمكانات فتوفر العلاج

والرعايـة الطبيـة للمرضـى هنـا بأسـعار رمزيـة ، ويحصل البعض على تلك الخدمـة مجانًـا إذا لـم تكن تتوافر لهم حتى هذه الأسعار الرمزية .

ـ ربما كان يفكر فى دخول الانتخابات البرلمانية مثل أبيه .. فقد سمعت أنه كان عضوًا فى البرلمان .. لذا فهو يسعى إلى اكتسـاب شعبية ، والحصول على أصوات أهل البلدة .

ـ لم نسمع أنه يفكر فى شىء كهذا .. ولـو أن كل أهل البلدة سينتخبونه بـالفعل ، لـو قرر أن يخـوض الانتخابات .. فالكل يحبه هنا .

لكن قولى لى .. لماذا أنت متحاملة عليه هكذا ؟

ابتسمت (ماجدة) قائلة :

ـ هذا هو السؤال الذى لم أجد له إجابة بعد .

قالت (منال) وهى تتظاهر باللامبالاة :

ـ أنا ؟ وما الذى يدعـونى إلى التحـامل عليه ؟ كل ما هنـالك أننـى لا أحب أن تكون الأمـور علـى غير حقيقتها .

لقد أوضح لنا بنفسه عندمـا التقـى بنـا ، أنـه رجل أعمـال .. وأنه يتخـذ من (الحامـول) مركزًا لبعض

مشروعاته .. وطبعًا رجال الأعمـال يحسبونها جيدًا من حيث الربح والخسارة .. ولا يهدرون أموالهم .. بل يضعونها دائمًا فى الأمـاكن التى تعود عليهم من ورائها أرباح مجزية .

وهذه هى النظرة التى تعامل بها الرجل مع البلدة .. فلو لم يكن يعلم أنه سيجنى أرباحًا مناسبة من وراء إقامة مصنع منتجات الألبان والمزرعة ، لما أقدم على إقامتهما .. وإذا كان قد تبرع ببنـاء هذا المستشفى الذى يتحدث عنـه أهل البلـدة .. فلابد أن وراء هـذا هدفًـا مـا .. علـى الأقل ليحظـى بالمسـاندة الكافيـة إذا ما فكر فى توسيع مشروعاته هنا .

قالت (سعاد) :

ـ سيكون هذا خيرًا وبركة علـى البلـد . وعلـى أيـة حال ، لقد قلت لك : إنه لا يوجد ما يعيب الرجل فـى أن يسعى إلى تنمية ماله وزيادة ربحه ، طالما أن هذا يحدث بوسائل شريفة ، ويعود بالخير على الآخرين .

قالت (ماجدة) لأختها وهى ترمقها بنظرة ثاقبة :

ـ لكن قولى لـى .. مـا الـذى جعلك تذهبين ناحيـة المصنـع ؟ فطريـق المصنـع مختلـف عـن الطريـق المؤدى إلى مكتب البرق .

نظرت (منال) إلى أختها ، وقد اعترتها حالة من الارتباك قائلة :

- وما الغريب فى هذا ؟ لقد فكرت فى أن أجول فى أنحاء البلدة قليلاً :

فبعد أن انتهيت من إرسال البرقية ، وجدت قدمىّ تقودانى إلى هناك .. ثم لا تنسى أن الطريق المؤدى إلى المصنع هو نفس الطريق المؤدى إلى منزلنا .

قالت أختها وهى تحاصرها بنظراتها :

- نعم .. لكننا نتخذ دائمًا الطريق الشرقى فى ذهابنا وغدونا ، لأنه الطريق المختصر .

قالت (منال) وهى تحاول أن تبدو صلبة ، فى مواجهة أختها :

- لابد أنك تملين من السير كل يوم فى نفس الطريق ، الذى اعتدت أن تسيرى فيه .

وحاولت أن تتظاهر بالحديث فى مواضيع أخرى مع (سعاد) .. لكن فيما يبدو فإن هذا التبرير الذى قدمته لأختها ، لم يكن مقتعًا بالنسبة لها كثيرًا وظلت تنظر إلى أختها وهى تتساءل :

- ترى .. هل أحست أختها بشعور ما نحو (خالد) ؟

وهل هذه الكراهية وعدم الاستلطاف اللذين تحاول أن تتظاهر بهما نحوه ، هما الوجه الآخر لمشاعر مختلفة ؟

ربما كانت مشاعر الإعجاب .. وربما الحب .

وتساءلت قائلة وهى تسعتيد الكلمة :

- الحب .. لا .. ليست (منال) هى الفتاة التى تقع فى الحب من أول نظرة .. فهى أختها .. وهى تعرفها جيدًا .

حقًا إن (خالد) به كل الصفات والمميزات ، الكافية لسلب عقول وقلوب الفتيات .. وإحداث تأثير لاشك فيه فى نفوسهن ، لكن (منال) ليست من ذلك الطراز من الفتيات ، اللاتى يسهل التأثير عليهنّ ، لقد عرفت (منال) دائمًا شخصية قوية ، لا تؤمن كثيرًا بالعاطفة ، كما أن المظاهر المادية البراقة لا تستهويها كثيرًا .

لقد عرفتها دائمًا فتاة عملية جادة .. تتعامل مع الحياة بواقعية شديدة .. وتتميز بذكاء ملحوظ وإرادة صلبة .

هكذا كانت أختها دائمًا .. أو على الأقل هكذا كانت تراها ..

إلا بالنسبة لها .. فالأمر مختلف .. إن مشاعرها القوية نحوها لم تكن محل شك مطلقًا .

لقد كانت بالنسبة لها بمثابة الأب والأم اللذين فقدتهما ، وعاطفتها القوية تجاهها .. ربما كانت هى نقطة ضعفها الوحيدة .

غادرت (ماجدة) مكانها .. وقد انتهزت فرصة انشغال (منال) بالحديث مع (سعاد) . لتقف بجوار النافذة المطلة على حديقة الموالح القريبة من المنزل .

وتأملت أختها وهى واقفة بجوار النافذة بعينين تشعان دفئًا وحنانًا .

إنها أيضًا تحب أختها كثيرًا .. وتحمل لها فى قلبها مشاعر دفاقة ، لقد ارتبطت كل منهما بالأخرى ارتباطًا وثيقًا .. حتى صارت كل منهما تشعر وكأنها جزء من كيان الأخرى .. تعدت صلتهما رابطة الدم ومشاعر الأخوة .. لتحمل بين طياتها مشاعر أخرى أقوى وأعمق ، فـ (منال) بالنسبة لها هى الأخت .. والصديقة .. والأم .. والأب .. وكل ما لها فى الحياة .

الحياة التى ستفارقها عما قريب .. وشد ما يحزنها أنها ستضطر إلى فراق أختها .. وتركها وحيدة فى

هذه الدنيا ، فقد كانت هى كل ما تبقى لها من أسرتها .

لقد فقدت الأم والأب وهى فى ريعان شبابها .

وكان لفقدهما تأثير أقوى على نفسها منه عليها .. لأنها كانت صغيرة للغاية عندما رحلت أمها عن الدنيا .

كما أنها كانت صغيرة نسبيًا عندما لحق أبوها بأمها ، أما (منال) فقد كانت أكثر التصاقًا بهما ، وأكثر إحساسًا بالمأساة ؛ لأنها كانت الأخت الكبرى .

وها هى ذى ستجد أختها عما قريب وقد فارقتها أيضًا .

وتنهدت بأسى وهى تحس بالإشفاق على أختها قائلة :

ـ مسكينة يا أختى الحبيبة .. إن واقعيتك وصلابتك الظاهرية ، لن تجدى شيئًا إزاء صدمة رحيلى عنك .. ولن تستطيعى أن تتظاهرى بالمزيد من الصلابة ، وأنت تواجهين رحيل الأحباء المتتالى ، وتعيشين فى الدنيا وحيدة دون أنيس أو رفيق .

لم أكن أحب أن أتسبب لك فى المزيد من الآلام ، لكن الأمر ليس بيدى .. فأنا مضطرة للرحيل .

مسحت عبرة انسابت فوق وجنتها سريعًا ، حتى

لا تلحظها أختها ، ثم عادت لتقول لنفسها ، وهى ترقب أختها وكأنها تناجيها بحديث غير مسموع :

ـ ليتك ترتبطين بشخص مثل (خالد) .. يعوضك عن الوحدة القاسية التى عشتها ، والتى سأسهم برحيلى فى قسوتها ، ويخفف عنك صدمة موتى وآلام فراقى ..

ليتنى أراك قبل أن أموت وقد اقترنت بشخص مثله ، يؤمن لك مستقبلك ، ويكفل لك بكرمه وسخائه وحبه ، ما يدفع عنك مصائب الدنيا وشرورها . فهذا هو الشىء الوحيد الذى سيخفف عنى آلام الفراق .. ويجعلنى أقبل على الموت بنفس راضية .

نعم إنك بحاجة إلى رجل .. رجل تتوافر فيه صفات الزوج والصديق والحبيب ؛ ليقود معك سفينة الحياة ويعينك على التغلب على أمواجها العاتية ؛ ويرسو بها معك على مرفأ الأمان .

هذا هو ما تحتاجين إليه الآن .. أكثر من أى وقت مضى .

تنبهت (منال) إلى ابتعاد أختها عنها ، وعاودها الإحساس بالقلق ، وهى تراها واقفة بجاور النافذة ، وعيناها شاردتان على هذا النحو .

لكن شرودها هذه المرة كان مختلفًا .

لقد أحست (منال) بغريزتها بأن أختها تخاطبها بحوار صامت ، وعندما التقت عيناهما ، شاركتها (منال) هذا الحوار الصامت ، وبدت عيناها وكأنها تسألها قائلة :

ـ (ماجدة) .. ماذا بك ؟ لماذا هذا الحزن فى عينيك ؟ لماذا تنظرين إلىَّ هكذا ، وكأنك تشفقين علىَّ من أمر ما ؟

لكنها لم تقل بلسانها ما قالته عيناها .. وإنما نادت أختها قائلة :

ـ (ماجدة) .. لماذا تقفين بعيدًا هكذا ؟ لِمَ لا تشاركيننا الحديث ؟

قالت (ماجدة) ، وهى تحاول التغلب على التعبير المرتسم على وجهها :

ـ كنت أرقب أحد الطيور وهو يحط بجوار النافذة .

سألتها (سعاد) قائلة :

ـ هل نأتى لنراه معك ؟

تحركت (ماجدة) قائلة :

ـ لا داعى لذلك .. فقد طار .. هأنذا قادمة إليكما ،

لكن قبل أن تصل إلى حيث يجلسان ، أحست بأنها لا تستطيع التحكم فى خطواتها جيدًا . وبدت وكأن قدماها تلتفان حول بعضهما .

لكنها حاولت التغلب على ذلك .. وهى تمد قدميها أمامها بخطوات حذرة .

لاحظت (سعاد) أن (ماجدة) لا تسير بشكل طبيعى ، فنظرت إليها بقلق قائلة :

- (ماجدة) .. ماذا بك ؟

حاولت (ماجدة) أن ترسم ابتسامة على وجهها ، وأن تتظاهر بالثقة قائلة :

- لا .. لا شىء .

لكنها أحست بغشاوة على عينيها .. وبدت الرؤية غير واضحة أمامها ، وازداد إحساسها بفقدان التوازن ، وعدم قدرتها على تحريك قدميها بطريقة طبيعية .

لكن أقسى ما تعرضت له فى هذه اللحظة ، هو ذلك الصداع الرهيب الذى هاجمها فجأة .. وبدا وكأنه يعتصر مخها .

لم تستطع (ماجدة) المقاومة ، فأمسكت برأسها وهى تصرخ .. ثم تهاوت على الأرض .

وصرخت (منال) بدورها ، وهى تندفع نحو أختها قائلة وهى تضمها إلى صدرها .

- (ماجدة) !!





٥ - شئ أجهله ..

خفق قلب (منال) بشدة ، وهى ترى أختها على هذا النحو .. وظلت تصرخ قائلة :

- (ماجدة) .. ماذا بك ؟

قالت (سعاد) وهى تمسك بيدها .

- إنها مريضة للغاية ، وتنفسها ثقيل .

تناولت (منال) وجه أختها بين يديها وهى تستنجد بـ (سعاد) قائلة :

- (سعاد) .. قولى لى ماذا أفعل ؟ إن (ماجدة) فى حالة يرثى لها .

- لابد من إحضار طبيب .

- وأين أجد طبيبًا الآن فى هذه البلدة ؟

- سأتصل بالمستشفى ليرسلوا لنا سيارة إسعاف .

تناولت (سعاد) سماعة الهاتف .. لكنها ما لبثت أن صاحت قائلة :

- إن الهاتف معطل .

ازداد اضطراب (منال) ، وأحست بأنها تكاد أن تفقد سيطرتها على نفسها قائلة :

- وماذا سأفعل الآن ؟

اندفعت (سعاد) نحو الباب قائلة :

- سأذهب إلى منزل والدى ، وأتصل بالمستشفى من هناك .. وإذا اقتضى الأمر سأذهب إليها بنفسى ، وأعود بسيارة الإسعاف .

أخذت (سعاد) تركض متجهة إلى منزل والدها القريب من منزل (منال) ، وهى تدعو الله ألا يكون الهاتف هناك معطلاً أيضًا .

بينما تناولت (منال) يدى أختها الغائبة عن الوعى ، وهى ملتاعة .

تصبب العرق غزيرًا من (سعاد) وهى تندفع نحو منزل أبيها لاهثة .

وما إن تخطت البوابة الخارجية للمنزل ، حتى وجدت نفسها تصطدم بكتف أحد الأشخاص ، كان فى طريقه لمغادرة المنزل برفقة أبيها .

صاح أبوها قائلاً :

- بنت يا (سعاد) .. ماذا بك ؟

وقفت (سعاد) لتلتقط أنفاسها قليلاً ، وهى لا تقوى

على الكلام ، بينما تعجب الشاب الذى كان برفقة أبيها ، وهو يراها على هذا النحو .

استطرد الأب قائلاً :

- ألا تعتذرين للدكتور (منير) على الأقل ؟

نظرت (سعاد) إلى الشاب الذى يرافق أباها وقد تنفست الصعداء قائلة :

- دكتور (منير) ؟!

الأب .

- نعم .. ألا تعرفين الدكتور (منير) ؟ أم أنك قد عميت عنه .. كتر خيره ، لقد جاء ليطمئن علىّ .. وقد طمأننى على سلامة قلبى .

قال الدكتور (منير) بتواضع :

- لا داعى لهذا القول يا حاج (إبراهيم) .. لقد قلت لك إننى كنت قريبًا من منزلك ، وجئت فقط لتناول الشاى معك .. أما مسألة الكشف هذه فكانت على سبيل الاطمئنان فقط .. لكن الحمد للّه لقد اطمأننت عليك تمامًا .

قالت (سعاد) ، وقد تعلقت بذراع الدكتور (منير) :

- دكتور (منير) .. أرجوك تعال معى .

نظر إليها (منير) بدهشة قائلاً :

- إلى أين ؟

سعاد :

- إلى منزل المرحوم (الحاج فهمى) .. لقد كنت فى طريقى للاتصال بالمستشفى ، لكن بما أنك هنا ..

سألها الأب بانزعاج قائلاً :

- ماذا حدث فى منزل الحاج (فهمى) ؟ هل تعرضت الفتاتان لأى مكروه .

- لقد فقدت (ماجدة) وعيها .. وهى مريضة للغاية .. وتتنفس بصعوبة .

- يا ساتر يارب ! لقد ظننت أن صحتها ستتحسن مع جوّ الريف .

سارع الدكتور (منير) بمشاركة (سعاد) الركض قائلاً :

- هيا بنا .. لنذهب إلى هناك .

انتهى الدكتور (منير) من فحص (ماجدة) .. ثم نظر إلى أختها قائلاً :

- هل تعرّضت لحالات مماثلة من قبل ؟

أجابته (منال) قائلة :

ـ نعم .. ولكن على فترات متباعدة .

ـ متى كانت آخر مرة تعرضت فيها لنوبة كهذه ؟

ـ منذ شهر ونصف تقريبًا .. ووقتها اقترحت عليها الذهاب إلى الطبيب معى .. لكنها رفضت .. وأخبرتنى أنها ستذهب إلى الطبيب بمفردها .

ـ هل معك أى تقارير طبية خاصة بها ؟

ـ كلا .. إنها تحتفظ بها .

واستطردت وهى تنظر إليه بقلق قائلة :

ـ هل حالتها خطيرة يا دكتور ؟

الدكتور (منير) :

ـ لا أستطيع أن أحدد الحالة هنا .. لابد من نقلها إلى المستشفى ، أظن أنها بحاجة إلى المزيد من الفحص ، بوساطة الأجهزة الطبية الموجودة هناك .

قال له الحاج (إبراهيم) :

ـ لقد اتصلت بالمستشفى لطلب سيارة إسعاف على سبيل الاحتياط .. وهى فى طريقها إلى هنا .

ـ خير ما فعلت يا حاج (إبراهيم) .

وفى تلك اللحظة خرجت (سعاد) من الحجرة لتناديهم قائلة :

ـ لقد استردت وعيها .

سارع الدكتور (منير) بدخول الحجرة ، حيث وجدها وهى تفتح عينيها بصعوبة ، وقد أمسكت رأسها قائلة فى إعياء :

ـ أين أنا ؟ ماذا حدث ؟

تناول الدكتور (منير) يدها بين يديه ؛ ليقيس نبضها قائلاً بنبرة هادئة ومطمئنة :

ـ أنت بخير .. حمدًا للّه على أنك قد استرددت وعيك .

لكنها جذبت يدها من يده سريعًا قائلة :

ـ من أنت ؟

قالت لها (سعاد) :

ـ إنه الدكتور (منير) جاء ليراك ويطمئننا عليك .

قالت (ماجدة) وقد بدا عليها الاضطراب :

ـ يرانى .. لكننى لا أعانى شيئًا ولا أحتاج لوجود طبيب .

قالت لها أختها وهى تجلس بجوارها ، وتحيط كتفيها بساعدها :

ـ (ماجدة) .. ألا تدرين ماذا ألم بك ؟ لقد أمسكت

برأسك وأنت تصرخين .. ثم سقطت على الأرض فاقدة الوعى .. لقد أصبنا جميعًا بالهلع .

إن هذا يعنى أنك بحاجة لرعاية طبية حقيقية .

ـ آسفة .. لأننى جعلتكم تقلقون من أجلى .

قال الحاج (إبراهيم) :

ـ الحمد لله على أنك بخير يابنتى ، إن ما يهمنا هو سلامتك .

مدَ لها الدكتور (منير) يده ؛ لتعطيه رسغها ، وهو يبتسم لها قائلاً :

ـ والآن هل تسمحين لى بأن أقيس لك النبض ؟

أسلمت له يدها ، وهو يسألها قائلاً :

ـ هل تشعرين بصداع ؟

قالت له (ماجدة) وهى تلقى برأسها إلى المسند الخلفى للسرير :

ـ الحمد لله .. إنه يخف تدريجيًا .. لم يكن صداعًا ذلك الذى هاجم رأسى .. بل شىء أشبه بسكاكين حادة تنغرز فى عقلى .

قبلت (منال) يدها الأخرى ، وهى تتألم من أجلها قائلة :

ـ يا حبيبتى !!

قال الدكتور (منير) :

ـ على أية حال .. إن سيارة الإسعاف ستصل خلال لحظات ؛ لنقلك إلى المستشفى ، وهناك سأجرى لك الفحص اللازم .

جزعت (ماجدة) حينما سمعت كلمة المستشفى قائلة :

ـ سيارة إسعاف ومستشفى .. لماذا ؟ إن الأمر ليس بهذه الخطورة .

ـ إن شاء الله لن تكون هناك خطورة .. لكنى سأجرى فقط بعض الفحوص من أجل الاطمئنان عليك .

قالت (ماجدة) بانفعال :

ـ كلا .. لا أريد أن أذهب إلى المستشفى .

سألتها أختها بدهشة قائلة :

ـ لماذا يا (ماجدة) ؟

ـ لأنه لا داعى لذلك .. لقد مرت الأزمة على خير . وأصبحت فى حالة طبيعية الآن .

قال لها الدكتور (منير) بنبرة صوته الهادئة :

ـ هذا لا يمنع من زيادة الاطمئنان عليك ، بإجراء بعض الفحوص البسيطة .

قالت له (ماجدة) بحسم :

ـ لكنى لا أرغب فى الذهاب إلى المستشفى الآن .

قالت (منال) التى كانت لا تزال قلقة بشأن أختها :

ـ لكن يا (ماجدة) ..

قاطعها الدكتول (منير) قائلاً :

ـ حسن .. لا داعى لذهابها إلى المستشفى الآن ، ما دامت لا ترغب فى ذلك .

ثم التفت إليها قائلاً بلهجة ودود :

ـ على أن تعدينى بأن تأتى إلى المستشفى فيما بعد .

قالت له (ماجدة) وقد تأثرت بلهجته الودية :

ـ سوف أفعل ذلك .

ـ هل أعتبر هذا وعدًا منك ؟

استكانت فى فراشها قائلة :

ـ نعم إنه وعد .

ثم استطردت قائلة :

ـ آسفة إذا كنت قد أتعبتك معى .

ابتسم لها قائلاً :

ـ هذا عملى وواجبى .

قالت له (منال) بامتنان حقيقى :

ـ لا أدرى .. ماذا كنت سأفعل لولا حضورك ؟!

ـ لكنى لم أفعل أى شىء .. لقد استردت الآنسة وعيها ، دون تدخل من أحد .

ـ على الأقل فإن وجودك ، قد أدخل الاطمئنان على قلبى .. لأننى لم أكن أعرف كيف أفعل ، وأنا أرى أختى فى هذه الحالة .

أخرج لها الدكتور (منير) بطاقة قدمها لها قائلاً :

ـ هذه هى بطاقتى الخاصة .. بها رقم تليفون المستشفى ورقم تليفون منزلى فى المدينة .

والمدينة لا تبعد عن البلدة أكثر من ثلث ساعة .. يمكنك أن تتصلى بى فى أى وقت لو احتجت الىّ .

كما أننى آتى إلى المستشفى ثلاث مرات أسبوعيًا .. وأحيانًا أضطر إلى الإقامة فيها طوال الأسبوع ، حينما تكون هناك طوارئ أو حالات حرجة .. لذا فإننى سأكون قريبًا منكما دائمًا .

هلل الحاج (إبراهيم) قائلاً :

ـ بارك الله فيك يا دكتور (منير) .

ثم استطرد قائلاً لـ (منال) :

ـ على فكرة يا (منال) إن الدكتور (منير) هو ابن خالة (خالد) بك .

وجدت (منال) نفسها تقول بتلقائية :

- (خالد الشناوى) .

- نعم .. وهو الذى أقنعه بفكرة بناء المستشفى هنا ، كما أسهم بجزء من ماله فى إنشائها .

قال الدكتور (منير) بخجل :

- يا حاج (إبراهيم) .. إننى لم أسهم إلا بمبلغ ضئيل للغاية .

صاحت (ماجدة) قائلة :

- حقًا .. أنت قريب لـ (خالد الشناوى) ؟

سألها قائلاً :

- هل تعرفينه ؟

- لقد التقينا به أنا وأختى منذ بضعة أيام .. كما أننا سمعنا عنه الكثير منذ جئنا إلى هنا .

لكن (منير) بدا منصرفًا عما تقوله (ماجدة) .. وقد أخذت عيناه ترقبها كطبيب .

وما لبث أن قال لها :

- لقد عرفت أن لديك تقارير طبية سابقة ، حول حالتك الصحية .

قالت له (ماجدة) وقد أحست بالارتباك :

- نعم .

- هل يمكنك أن تحضريها معك ، حينما تأتين لزيارتى فى المستشفى ؟

قالت له وقد ازداد ارتباكها :

- حسن .. سأفعل .

- والآن اسمحوا لى بأن أنصرف .

ودعته (منال) لدى الباب قائلة له :

- دكتور (منير) .. إننى شديدة القلق بشأن أختى .

- لا تجعليها تحسّ بقلقك هذا .. حاولى أن تشجعيها على الحضور إلى المستشفى .

حينما أنتهى من فحصها ، سأستطيع أن أحدد لك إذا ما كانت حالتها تستدعى هذا القلق أم لا .

وإن كنت أظن أنها لا تستدعى ذلك .. فبحسب ما رأيته ظاهريًا .. فإن الأمر لا يزيد على حالة ضعف عام .. تسببت فى نوبةِ إغماء عادية .

لكنه كان يعرف أنه يكذب بهذا الشأن .. وأن حاسته كطبيب تنبئه بغير ذلك .

لقد أدرك بخبرته كطبيب ، أن (ماجدة) تعانى مرضًا عضالاً .

كما أحس بأنها تحاول إخفاء حقيقة مرضها عن الآخرين .

وبينما كان يقود سيارته عبر الطريق الزراعى ، كان عقله منشغلاً بحالة (ماجدة) . خاصة أن ذلك الصداع الشديد الذى شكت منه ، يدخل فى صميم اختصاصه كطبيب أعصاب .

لكن شيئًا ما أكثر من فضوله الطبى ، كان يجعله يفكر فى أمر هذه الفتاة ، ويرغب فى فحص حالتها بصورة جيدة .

شيئًا لا يدرى ما هو ؟ لكنه كان يلح عليه طوال الطريق .

★ ★ ★



٦ - نظـرة فى عينيه ..

سارت (منال) بتؤدة أمام مصنع منتجات الألبان ، الذى يحمل اسم (خالد الشناوى) ، وقد أخذت تتطلع إليه بفضول .

وما لبثت أن سمعت صوتًا يأتى من خلفها قائلاً :

ـ لقد عرضت عليك من قبل أن تشاهدى كيف يعمل المصنع من الداخل ، لكنك رفضت .

انتفضت (منال) بشدة ، وهى تنظر خلفها لتراه .. بقامته المديدة وعينيه الصافيتين .

قالت وهى تزدرد لعابها :

ـ هل من عادتك أن تخيف الآخرين هكذا ؟

ابتسم قائلاً :

ـ وهل من عادتك أن تكونى جافة دائمًا مع من يرغبون فى التعرف إليك ؟

قال له :

ـ لا أحسب أننى كنت جافة معك .

قال لها وهو يتطلع إلى وجهها بعينين جريئتين :
- وأنا لا أظن أن هذه هى طبيعتك .. ربما وجدتنى يومها ثقيل الظل ، حينما وقفت أتحدث إليكما أنت وأختك .
قالت له باستحياء :
- أبدًا لم تكن كذلك على الإطلاق .
اتسعت ابتسامته وهو يقول :
- أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة .
- لكنى لا أجاملك .
- أما أنا فأعدها مجاملة .
وتلفت حوله وهو يردف قائلاً :
- بهذه المناسبة .. أين أختك الصغيرة ؟ أظن اسمها (ماجدة) ، أليس كذلك ؟
- بلى .. إنها فى المنزل ولم تأت معى اليوم .
- لماذا ؟ مع أن اليوم صحو وجميل ؟
- إنها متوعكة بعض الشىء .
قال لها باهتمام :
- أرجو سلامتها .. هل أرسل لها طبيبًا من المستشفى ؟ أم أرسل لها سيارة إسعاف لتنقلها إلى هناك ؟

- شكرًا لك .. إن الأمر لا يحتاج لكل ذلك .
وابتسمت وهى تردف قائلة :
- على أية حال .. لقد قام ابن خالتك بالواجب نحوها ..
وكشف عليها .. ثم طمأننا على صحتها .
نظر إليها بدهشة قائلاً :
- ابن خالتى ؟!
- نعم .. الدكتور (منير) .
- آه (منير) .. هل قام بالكشف على أختك ؟
- نعم .. لقد حضر إلى منزلنا بمجرد علمه بأنها مريضة .
- ومتى كان ذلك ؟
- منذ ثلاثة أيام تقريبًا .
- إن (منير) طبيب ممتاز .. لا أقول هذا لأنه ابن خالتى .. لكن هذه هى الحقيقة .. فالكل يشهد له هنا ، وهو الذى حمسنى لإقامة المستشفى فى (الحامول) لقد عرضت عليه مساعدته لإقامة عيادة طبية على أحدث طراز فى (القاهرة) .. لكنه فضل الإقامة هنا بالقرب من (الحامول) .. وكان متحمسًا للغاية لمشروع المستشفى .

ـ أظن أنك كنت متحمسًا بنفس القدر .

ـ فى الحقيقة لا أخفى عليك .. لم أكن كذلك فى البداية .. لكننى سرعان ما تجاوبت مع حماس (منير) .. خاصة بعد أن تبين لى مدى حاجة البلدة لوجود مستشفى كهذا .. فى ظل الرعاية الصحية السيئة الموجودة هنا .

ابتسمت (منال) قائلة :

ـ على الأقل فأنت لا تفتقر إلى ميزة الصراحة .

قال لها ضاحكًا :

ـ إنها إحدى فضائلى القليلة .

ـ أظن أن مستشفى كهذا .. لا يعود بعائد مادى يتوازى مع قيمة تكاليفه ، أمر يتعارض مع تفكير رجل أعمال مثلك ، ويعد فى حساب الأرباح والخسائر مشروعًا خاسرًا .

ابتسم قائلاً :

ـ أنت أيضًا لا تفتقرين إلى ميزة الصراحة .. وإن كانت صراحتك لاذعة بعض الشىء .

لكنى أظن أنك تظلميننى بعض الشىء .. حقًا إن معاملاتى ليست قاصرة دائمًا على حسابات الأرباح والخسائر .

ـ هل تريد أن تقول إنك مهتم بالحامول وأهلها بالفعل ؟

ـ ولِمَ لا ؟ إن (الحامول) هى بلدتى وبلدة أبى وأجدادى .. ومن الطبيعى أن تكون لها مكانة خاصة عندى .

ـ لو كان ذلك صحيحًا ، لما غبت عنها كل هذه السنوات الطويلة ، متنقلاً بين بلدان أوربا ، ولما انتظرت حتى وفاة أبيك ؛ لتعود إليها لكى تحصل على نصيبك فى إرثه .. وأظن أن هذا هو السبب الحقيقى لعودتك إلى هنا ، بالإضافة إلى مشروعاتك هنا .

ابتسم وهو يتأملها قائلاً :

ـ هل تعرفين ؟ هذه أول مرة ألتقى فيها بفتاة تجادلنى فى أمور شخصية خاصة بى على هذا النحو .

ـ آسفة إذا كنت قد ضايقتك .

ـ بالعكس .. إننى سعيد لهذا التقارب بيننا .. فقد كان لقاؤنا فى المرة السابقة غير ودى للغاية .. وأعطيتنى انطباعًا بأننى إنسان متطفل ، عندما ألقيت عليك بعض الأسئلة .

ـ هل تقصد أن تقول إننى أبدو الآن كإنسانة متطفلة ؟

ـ لقد قلت لك إننى سعيد لهذا الحديث بيننا .. لقد كنت تبدين فى المرة السابقة كإنسانة جافة ، أما الآن فأنا أراك لطيفة للغاية .

تضرج وجهها بالاحمرار ، وهى تخفض بصرها قائلة :

ـ أشكرك .

ـ لقد وعدتنى بزيارة مصنعى فى المرة السابقة .. وها هى ذى الفرصة قد حانت لكى تنفذى وعدك .

ـ فلنؤجل ذلك للمرة القادمة .. حينما تكون أختى معى .

ـ لا .. أنت وأختك ستأتيان غدًا لحضور حفل عيد ميلادى فى فيلتى .. إننى سأقيم حفلة صغيرة بهذه المناسبة .. وسيسعدنى كثيرًا لو شرفتمانى بالزيارة .

قالت له (منال) باستحياء :

ـ كل سنة وأنت طيب .. لكنى لا أعرف .. ما إذا كنت سأستطيع أن أحضر .

قال لها بإصرار ضاحكًا :

ـ لن أقبل أية أعذار .. أم أنك تخافين إحضار هدية لى بمناسبة عيد ميلادى .. على أية حال ، إن هديتى هى حضورك .

ابتسمت قائلة :

ـ سأحاول .

وفى تلك اللحظة توقفت سيارة حمراء صغيرة ، على مقربة منهما .

وشاهدت (منال) فتاة ذات شعر كستنائى ، ترفع منظارًا شمسيًا عن عينيها ، وهى جالسة أمام عجلة القيادة تحدق فيهما .

نادت الفتاة (خالد) .. وقد بدت أنها تعرفه قائلة :

ـ (خالد) !

التفت (خالد) نحوها .. ثم ما لبث أن هتف قائلاً :

ـ (سامية) ؟!

غادرت الفتاة سيارتها متجهة نحوهما ، وهى تتفرس بعينيها فى (منال) .

فسعى (خالد) لاستقبالها ، وهو يقدمها لـ (منال) قائلاً :

ـ (سامية) ابنة خالتى .

وأردف قائلاً :

ـ وأخت الدكتور (منير) ، الذى التقيت به من قبل .

ثم قدم (منال) إلى ابنة خالته قائلاً :

- الآنسة (منال) .

صافحتها (سامية) ببرود ، فى حين أحست (منال) بأن نظرتها إليها غير ودية على الإطلاق .

تحدثت الفتاة قائلة لـ (خالد) :

- لقد غبت عنا كثيرًا يا (خالد) .. هل أعمالك هنا أخذتك منا تمامًا ؟

ابتسم (خالد) قائلاً :

- لكنى كنت لديكم فى (القاهرة) منذ أسبوعين فقط .

قالت له ابنة خالته بدلال :

- ألا ترى أن أسبوعين فترة طويلة ؟ على الأقل كنت تحاول أن تسأل عن خالتك هاتفيًا .

- فى الحقيقة لقد شغلتنى بعض الأعمال هنا .

- لولا أننا نتقصى أخبارك عن طريق (منير) ، لما علمنا شيئًا عنك . على أية حال ، أنا غاضبة منك .. ولولا أن عيد ميلادك غدًا ، ما كلفت نفسى بالحضور اليوم .

أحست (منال) بالحرج ، وهى تستمع لهذا العتاب العائلى .. فاستأذنت منهما قائلة لـ (خالد) :

- عن إذنكما .. سأنصرف الآن .

سألها بلهفة وهو يصافحها قائلاً :

- إننى سأنتظر حضورك غدًا .

تتبعتها (سامية) بنظراتها وهى تنصرف قائلة :

- من هذه يا (خالد) ؟

- إنها ابنة المرحوم (فهمى) ، وهو أحد الأشخاص المعروفين هنا ، جاءت إلى البلدة هى وأختها لقضاء الإجازة .

سألته قائلة :

- من الواضح أنه قد توطدت بينكما صلة وثيقة .

- ماذا تقصدين ؟

- لقد رأيتكما وأنتما تتحدثان معًا ، وكان من الواضح أن بينكما ، انسجامًا تامًا ، كذلك إلحاحك عليها بحضور عيد ميلادك ..

قاطعها (خالد) قائلاً :

- لا تدعى أفكارك تذهب بعيدًا .

ثم أمسك بمرفقها قائلاً :

- هل ستسبقيننى إلى الفيلا ؟ أم تأتين معى إلى المصنع أولاً ؟

أجابته قائلة :

- بل سأذهب لزيارة (منير) فى المستشفى ، ثم نأتى إليك معًا .

حاولت أن تبدو مرحة وهى تودعه .. لكن شيئًا فى أعماقها لم يكن مرتاحًا لرؤية (منال) .

لقد انبهرت بـ (خالد) حينما رأته بعد عودته من أوربا .. كانت قبلها تحتفظ له بذكرى ضئيلة فى مخيلتها .. لأنها لم تره إلا مرات محدودة ، قبل سفره .. وكانت وقتها طفلة صغيرة .

لكن حينما عاد والتقت به ، وجدت أمامها شابًا وسيمًا وجذابًا ، وثريًا ، وبه كل المميزات التى تجعل أى فتاة تنجذب إليه .

فقد وجدت (سامية) نفسها تنجذب إليه بالفعل .. وأصبح أهم أهدافها هو أن تكون زوجة له .

لكنه بدا غير مهتم كثيرًا بها ، برغم كل المحاولات التى بذلتها لجذب انتباهه ، ودفعه إلى الاهتمام بها .

لم يكن ينظر إليها إلا كابنة خالة له .. وتنازلت (سامية) عن الكثير من كبريائها ؛ لكى تجعله يفهم أنها تعنى له أكثر من ذلك .

أحيانًا كانت تظن أنها قد نجحت فى ذلك .. وأحيانًا أخرى كانت تجد أن هذا النجاح لم يكن سوى وهم .

لكنها لم تيئس .. ولم تتنازل عن السعى وراء تحقيق هدفها ، بأن يكون (خالد الشناوى) زوجًا لها فى يوم من الأيام .

كانت تعرف بالطبع أن شخصًا مثله ، قضى فترة طويلة من حياته فى أوربا .. لابد أنه عرف الكثير من الفتيات الجميلات ، كما أنه بثرائه وشبابه ووسامته ، لابد أن يكون محط آمال وأحلام الكثير من الفتيات هنا .

لكنها كانت مطمئنة نسبيًا إلى أنه لا توجد فتاة تشغل تفكيره واهتمامه ، بالقدر الذى يهدد رغبتها فى الارتباط به .

وبقيت حريصة على تتبع أخباره دائمًا ، وملاحقته بزياراتها المتكررة ، بسبب أو بدون سبب ؛ لكى تكون ماثلة أمامه دائمًا أكثر من أى فتاة أخرى ، ولتعرف ما إذا كانت قد تواجدت تلك الفتاة فى حياته أم لا .

وظلت واثقة بغريزتها الأنثوية بأن تلك الفتاة لم توجد بعد ، ربما كانت له نزوات أو علاقات عابرة .. لكن ليس إلى الحد الذى يجعل فتاة تتسلل إلى فكره وقلبه ، وتهدد أحلامها نحوه .

لذا فحينما رأت (منال) وهى واقفة تتحدث إليه ..

وشاهدت ذلك التجاوب فى حديثه إليها ، أحست بشىء من القلق وعدم الارتياح . وحينما اقتربت منها أكثر ، وشاهدت تلك النظرة فى عينيها ازداد إحساسها بالقلق .

لقد أدركت بغريزتها ، أن هذه النظرة تنطوى على شىء من الغيرة .

إن (منال) جميلة .. لكن ليس بالقدر الذى يشكل خطرًا كبيرًا بالنسبة لها ، فلا بد أن (خالد) قد رأى فتيات أكثر منها جمالاً .. وهى أيضًا لا تفوقها جمالاً .

كما أن ثيابها تدل على بساطة شديدة .. وعلى أنها أقل كثيرًا فى مستواها المادى من (خالد) .. بل منها أيضًا .

لكنها لمحت نظرة إعجاب فى عينى (خالد) ، وهو يتحدث إليها .. نظرة جعلتها تشعر بعدم الارتياح .

هزت رأسها وهى تقود سيارتها ، كأنها تحاول أن تنفض عنها هذه الأفكار ، قائلة لنفسها :

ـ من يدرى ؟ ربما كنت أبالغ فى تصوراتى .. لكن من الأفضل ألا تظهر هذه الفتاة فى حياة (خالد) كثيرًا بعد اليوم .

★ ★ ★

٧ ـ المشاعر الساكنة ..

تساءلت (منال) وهى فى طريقها إلى المنزل ، عن سر هذا الإحساس الذى اعتراها ، حينما رأت تلك الصلة الحميمة ، التى تربط بين (خالد) وابنة خالته ، هل هو إحساس بالغيرة أم بالضيق ؟

وتحيَّرت وهى تسائل نفسها .. الغيرة .. الضيق .. ممن ؟ ولماذا ؟ هل تغار على (خالد) ؟

لكن ما هى صلتها به حتى تغار عليه ؟ إنه لا يعنى بالنسبة لها شيئًا ؟

ربما تضايقت من الطريقة المتعجرفة التى عاملتها بها ابنة خالته . والطريقة التى كانت تنظر بها إليها وهى تصافحها .

نعم .. لا بد أن هذا هو الذى ضايقها .

لكنها عادت لتهز رأسها نفيًا ، وهى تقول لنفسها :

ـ كلا .. لم يكن هذا هو السبب الوحيد .

لماذا يا (منال) تخشين من الاعتراف بالحقيقة حتى لنفسك ؟

إنك كاذبة فى ادعائك بأن (خالد) لا يعنى لك شيئًا .

فالحقيقة التى تعرفينها جيدًا ، هى أنه أصبح يعنى بالنسبة لك الكثير ، منذ أن التقيت به .

لقد شغل تفكيرك .. وحرّك مشاعرك .

مشاعرك التى كانت خامدة قبل أن تريه .. حتى أنك ظننت أنها لم يعد لها وجود .

بل عليك أن تعترفى بأنك ما جئت إلى هذا المكان اليوم .. إلا من أجل أن تريه .. وأن قلبك وثب بين أضلعك ، حينما التقيت به .

واستمرت فى تساؤلاتها قائلة لنفسها :

ـ أيكون هذا هو الحب ؟

وابتسمت لنفسها فى حيرة وخجل قائلة :

ـ هل من المعقول أننى التقيت أخيرًا بالرجل الذى استطاع أن يحرّك أحاسيسى ؟

وهل يقتصر الأمر على الإعجاب ؟ أم أننى أوشك على الوقوع فى الحب ؟

ومن يدرى ؟ ربما أكون قد وقعت فى الحب فعلاً ؟

لكن حتى لو كان هذا صحيحًا .. فماذا عن إحساسه هو نحوى ؟

من الواضح أنه يبدى اهتمامًا ولو بسيطًا بى .. وهذا يبدو من إلحاحه علىّ بضرورة حضورى عيد ميلاده .

لكن ربما كانت هذه مجاملة رقيقة منه .. لا أكثر من ذلك .

توقفت أمام باب المنزل الخارجى وهى تقول لنفسها :

ـ تنبهى لنفسك يا (منال) .. لا تجعلى مشاعرك المضطربة تجرفك بعيدًا .

لماذا يهتم شخص مثله بفتاة مثلك ؟

إنه لا يفتقر بالطبع لوجود فتيات جميلات فى حياته .. ولا بد أنه عرف الكثيرات فى أوربا وفى مصر . كما أن ابنة خالته تعامله كما لو كان شيئًا خاصًا بها .

إن شخصًا مثله ، حينما يفكر فى إبداء اهتمام حقيقى وجدّى ، بفتاة تصلح كزوجة له .. فلا بد أن يفكر فى فتاة مثل ابنة خالته .

فهى فتاة جميلة وأنيقة .. ولا بد أنها لا تقل عنه ثراء .. فضلاً عن تلك الصلة الحميمة التى رأتها تجمع بينهما .

نعم إن شخصًا مثله .. لن يهتم كثيرًا بفتاة مثلها ،

ربما أعجبته طريقة تفكيرها ، وأسلوبها فى الحوار معه .. ربما لأنه فى مكان كهذا لا تتاح له الفرصة كثيرًا ، للالتقاء بفتيات من طرازها ، فوجد فيها وفى أختها ما يساعده على التغلب على رتابة الحياة هنا .

وها هى ذى ابنة خالته قد جاءت لتبدِّد إحساسه بالملل ، من هذا المكان الريفى ، الذى لا يناسب شابًا ثريًا عاش فى أوربا مثله .

تنهَّدت (منال) بعمق قائلة لنفسها :

ـ علىَّ أن أكون كما كنت دائمًا ، أقوى من مشاعرى .. وألا أندفع وراء عاطفة من ذلك النوع .. فلن ينالنى منها فى النهاية سوى الألم .

استقبلتها أختها قائلة :

ـ (منال) .. أين كنت ؟

ـ لقد ذهبت لأتمشى قليلاً .

ـ ولماذا لم توقظينى قبل ذهابك ؟

ـ لم أشأ أن أزعجك .. لقد كنت قلقة طوال الليل ، وأردت أن تحظى ببضعة ساعات إضافية من النوم .

وأردفت قائلة وهى تمسح بيدها على شعرها :

ـ كيف حالك اليوم ؟

ـ الحمد للّه .. أشعر بأننى أفضل كثيرًا .

قالت (منال) بارتياح :

ـ الحمد للّه يا حبيبتى .

واستطردت قائلة بعد لحظة من التردّد :

ـ هل تعرفين بمن التقيت اليوم ؟

سألتها (ماجدة) بفضول قائلة :

ـ بمَنْ ؟

قالت (منال) وهى تتعمَد عدم ذكر اسم (خالد) مباشرة :

ـ بذلك الرجل صاحب مصنع منتجات الألبان .

ابتسمت (ماجدة) قائلة :

ـ تقصدين (خالد الشناوى) ؟

ـ نعم .. لقد التقيت به مصادفة ، وأنا فى طريقى إلى هنا .

قالت (ماجدة) بخبث :

ـ لقد كثرت المصادفات ، التى تجعلك تذهبين إلى الطريق المؤدى إلى .....

قالت (منال) وقد انتابها إحساس بالحرج :

ـ ماذا تعنين ؟

ضحكت (ماجدة) قائلة :

ـ لا شىء .

قالت (منال) غاضبة :

ـ ألا تتوقفين عن تلك التلميحات السخيفة ؟ أنا مخطئة لأننى أتحدَث معك .

همت بمغادرة الحجرة ، لكن (ماجدة) سارعت باسترضائها وهى تبتسم قائلة :

ـ إننى أداعبك ، فلا داعى لهذا الغضب .. هيا أخبرينى ، هل تحدَث إليك ؟

قالت لها (منال) بنبرة خافتة :

ـ نعم .

ـ إياك أن تكونى قد عاملته بجفاء ، كما حدث فى المرة السابقة .

ـ كلاَ .. لقد تبادلنا حديثًا وديًا .. وفى النهاية وجه لى ولك الدعوة لزيارة منزله غدًا ، بمناسبة عيد ميلاده .

هللتِ (ماجدة) قائلة :

ـ حقًا .. يا له من خبر سار .. هذا يعنى أنك قد حققت تقدمًا كبيرًا .

نظرت إليها أختها باستغراب قائلة :

ـ ما الذى دهاكَ ؟ ماذا تعنين بالخبر السارَ ، والتقدم الكبير ؟

هل كل ذلك لأنه دعانا إلى عيد ميلاده ؟ .

قالت (ماجدة) وهى تحاول السيطرة على انفعالاتها :

ـ دعك مما أقوله .. وقولى لى أنت ، فيمَ تحادثتما ؟

ـ لا شىء أكثر من بعض الأمور العامة .. كما أخبرته بزيارة الدكتور (منير) لنا .

سألتها (ماجدة) بلهجة خافتة هذه المرة :

ـ وهل سيأتى إلى عيد ميلاده ؟

ـ مَنْ ؟

ـ الدكتور (منير) .

ـ لا أعرف .. لكن من المؤكد أنه سيأتى ، فقد جاءت أخته خصيصًا من (القاهرة) لحضور عيد ميلاد ابن خالتها .

ـ هل للدكتور (منير) أخت ؟

ـ هذا ما تبينته اليوم .. لكن لِمَ تبدين كل هذا الاهتمام بالدكتور (منير) ؟

قالت (ماجدة) وقد أحست بالارتباك :

ـ لا .. لا شىء .. إننى فقط أقدر اهتمامه بى فى أثناء النوبة التى تعرضت لها .

واستطردت قائلة :

ـ هل ستذهبين غدًا لحضور عيد ميلاده ؟

قالت (منال) بتردَد :

ـ فى الحقيقة لا أدرى .. أظن من الأفضل ألا نذهب .
قالت (ماجدة) باستنكار :
ـ لماذا ؟ لقد وجه لك الرجل الدعوة ، ولا يصح ألا تلبيها .
ـ إننى لم أعده بالحضور .
ـ ولماذا لا نذهب ؟ إننى أريد أن أرى كيف يعيش هذا الرجل فى فيلته الأنيقة التى تشبه القصر .. ثم إن هذا سيكون نوعًا من التغيير ، الذى سيبدد إحساسك بالملل هنا .
ـ لكننا غير مستعدتين .
ـ لا تشغلى بالك بهذا الأمر .. إن الرجل مهتم بحضورنا ، والاحتفال معه بهذه المناسبة الخاصة .. وأظن أن هذا هو ما يعنيه .
قالت لها (منال) بنبرة مترددة ، وكأنها تستعين بأختها فى اتخاذ القرار :
ـ هل ترين أنه من الأفضل أن نذهب ؟
ـ بالطبع .
هزت (منال) كتفيها قائلة وهى تتظاهر بالبرود :
ـ حسن .. ما دامت هذه هى رغبتك .

★ ★ ★

٨ ـ السعادة المحرمة ..

هتفت (ماجدة) وهى تتطلع إلى الفيلا من الداخل ، والحديقة الرائعة المحيطة بها من كل الجوانب ، قائلة لأختها :
ـ يا له من مكان ساحر ! انظرى إلى مساحة الفيلا ، والحديقة المحيطة بها .. إنها أشبه بالقصر .
قالت لها (منال) بمرح :
ـ لا تدعى هذه المظاهر تؤثر عليك .. ولا داعى للتصرف كقروية ساذجة ، ترى المدينة لأول مرة .
ـ لا أستطيع أن أخفى انبهارى بالمكان .. ألا تتفقين معى فى أنه مكان رائع .. انظرى إلى حمام السباحة .. لقد تمت العناية بكل شىء هنا عناية فائقة .. حتى إن الفيلا والمنطقة المحيطة بها تبدوان كما لو كانتا قطعة من أوربا ، تم نقلها إلى (الحامول) .
قالت (منال) وهى تتأمل المكان حولها :
ـ من الواضح أنه قد أُنفقت مبالغ باهظة ، لكى تتخذ الفيلا هذا المظهر ، الذى ينم عن البذخ الشديد .

ـ والذوق أيضًا .. لا تستطيعين أن تنكرى أن كل شىء هنا ينم عن الذوق والجمال .. ذوق وجمال صاحبه .

كان هناك عدد من الأشخاص منشغلين بالحديث فى أرجاء المنزل من الداخل .

وتلفتت (منال) حولها بارتباك ، بعد أن قادهما الخادم إلى ردهة المنزل الفسيحة ، وهى تهمس لأختها قائلة :

ـ ألا يوجد هنا من يستقبلنا ؟ إننا نبدو كما لو كنا كمًا مهملاً .

همست لها أختها قائلة :

ـ لا داعى لهذه الحساسية المفرطة .. لا بد أن (خالد) سيظهر بين لحظة وأخرى لاستقبالنا ، بعد أن يخبره الخادم بحضورنا .

وفى تلك اللحظة كانت (سامية) واقفة تتحدث مع أحد الأشخاص ، حينما لمحتهما واقفتين فى أحد أركان الردهة ، فتقدمت نحوهما ، وهى ترسم ابتسامة على وجهها .

ومدت يدها لمصافحة (منال) بأطراف أصابعها قائلة بتكلف :

ـ أظن أننا قد التقينا بالأمس .. أنت (منال) ، أليس كذلك ؟

قالت (منال) بندية :

ـ نعم .. وأنت (سامية) إذا لم أكن قد نسيت الاسم .

قالت (سامية) وهى تنظر إليها مليًا :

ـ إن لك ذاكرة جيدة .

ثم التفتت إلى (ماجدة) قائلة :

ـ هذه أختك ؟

قالت (منال) :

ـ نعم أختى (ماجدة) .

ثم أكملت التعارف وهى تقدم (سامية) لأختها :

ـ الآنسة (سامية) ابنة خالة الأستاذ (خالد) .

صافحتها (ماجدة) بحرارة قائلة :

ـ أهلاً وسهلاً .

ـ لماذا تقفان هكذا ؟ فلتجلسا فى أى مكان تختارانه هنا ، أم تفضلان الجلوس فى الحديقة ؟ على أية حال إن الحفل الكبير سيقام فى الحديقة .

تعاليا معى ، إن فى الحديقة مكانًا رائعًا اعتدت الجلوس فيه أنا و (خالد) سيروق لكما .

تقدمتهما لتصحبهما إلى الحديقة . بينما همست (ماجدة) لأختها قائلة :

ـ هل ترين ثوبها ؟ إنه يبدو رائعًا .. لا بد أنه باهظ الثمن .

قالت (منال) وهى تتأمل الفتاة بحسرة .. وقد وجدت أنه لا وجه للمقارنة بين ثوبها البسيط ، والثوب الذى ترتديه (سامية) .. والذى أبرز جمالها ومفاتنها بطريقة ملحوظة :

ـ نعم .

ـ لكنها تتصرف كما لو كانت صاحبة المكان .

ـ لولا أن صاحب المكان قد سمح لها بذلك ، لما تصرفت على هذا النحو .. ثم لا تنسى أنها ابنة خالته .

دعتهما (سامية) للجلوس حول مائدة تحيطها أحواض الزهور ، وتطل على حوض السباحة مباشرة .

ثم جلست معهما قائلة :

ـ إن (خالد) يبدى اهتمامًا كبيرًا بكما .. ويقول إن والدكما كان من الشخصيات المعروفة هنا .

قالت (منال) :

ـ إن المرحوم والدى ، كان محبوبًا من الجميع فى (الحامول) .. والكل كان يقدره ويحترمه .

قالت (سامية) :

ـ لقد جئتما إلى هنا فى إجازة قصيرة كما سمعت .

ـ بل هى إجازة طويلة بعض الشىء .. ولكن أين الأستاذ (خالد) ؟

ـ سيأتى حالاً .. فهو يرحب ببعض مدعويه .. ولا أخفى عليك سرًا ، أن بعض هؤلاء المدعوين ، من رجال الأعمال الذين يرغبون فى عقد بعض الصفقات مع (خالد) .. وحينما يبدأ رجال الأعمال فى الحديث مع بعضهم ، حول إحدى الصفقات ، فإنك لا تعرفين متى ينتهون .. بل إن شخصًا مثل (خالد) قد ينسى حفل عيد ميلاده .. إذا ما استغرقه الحديث .

ونظرت إلى اللفافة التى تحملها (ماجدة) قائلة :

ـ لا بد أن هذه هى الهدية التى جئت بها إلى (خالد) .

ثم مدّت يدها وهى تستطرد قائلة :

ـ دعينى أحتفظ لك بها مع بقية الهدايا الأخرى .

قالت لها (منال) بجدية :

ـ أفضل أن أحتفظ بها معى لأقدمها له بنفسى .

نظرت إليها بتعالٍ ، وهى تهز كتفيها قائلة :

ـ كما تريدين .

لمحت (ماجدة) الدكتور (منير) مقبلاً عليهم .. وقد ارتدى حلة زرقاء داكنة ، فى حين ارتدى تحت الجاكت قميصًا سماويًا مفتوحًا ، فأصبح مظهره فى منتهى الأناقة .

كان وسيمًا ، وقد لوحت الشمس بشرته ، فأضفت عليها لونًا برونزيًا محببًا .

أحست (ماجدة) بالسرور لرؤيته .. فانعكس هذا على ملامح وجهها ، الذى اكتسى بلون وردى ينم عن مزيج من الفرحة والارتباك .

حياهم قائلاً :

ـ مساء الخير .

قالت (منال) :

ـ أهلاً بك يا دكتور (منير) .

صافحته (ماجدة) بيد مرتجفة ، وهو يبتسم لها قائلاً :

ـ إننى سعيد لأننى أراك اليوم فى أحسن صورة .

قالت له بصوت خافت :

ـ أشكرك .

سألت (سامية) :

ـ هل تعارفتما من قبل ؟

ردّ (منير) :

ـ نعم .

قالت له بنبرة ساخرة :

ـ يبدو أن صلات كثيرة قد تدعمت هنا بين الأسرتين ، دون أن أدرى .

ـ إننى أرى هذا من خلال تلك الجلسة الودية .. فلا بد أنك قد وجدت فى هاتين الزهرتين الجميلتين ، ما أغراك بالتعرف إليهما سريعًا .

قالت له وهى تكظم غيظها :

ـ بالطبع .

ثم استأذنت منهما قائلة :

ـ عن إذنكما سأبحث عن (خالد) .

سألهما (منير) قائلاً :

ـ هل تسمحان لى بالجلوس ؟

قالت (منال) :

ـ بالطبع تفضل يا دكتور (منير) .

تحدّث (منير) إلى (ماجدة) قائلاً :

ـ إنك لم تفى بوعدك حتى الآن .

ابتسمت (ماجدة) قائلة :

ـ إننى لم أحدّد لك موعدًا .

ـ أتمنى أن نتفق على موعد الآن .

ـ لا أدرى .. ما الذى يجعلك مهتمًا هكذا ؟ أتشك أن لدى مرضًا خطيرًا ؟

ـ مطلقًا .. كل ما هنالك أن الحاج (إبراهيم) ، قد أوصانى بك توصية كبيرة ، وأخبرنى بأنه يعدك كابنة له .. وأنا من ناحيتى أريد أن أعمل بالتوصية ، وأطمئنه عليك تمامًا .

ـ هل هذا هو كل ما فى الأمر ؟

ـ هناك أيضًا الفضول الطبى .

وفى تلك اللحظة حضر (خالد) ليقطع عليهما الحديث .. حيث رحب بهما بحفاوة قائلا :

ـ إننى سعيد لحضوركما اليوم .

سأله (منير) مداعبًا :

ـ ألست سعيدًا لحضورى أنا أيضًا ؟ أم أننى لا أستحق هذه الحفاوة مثلهما ؟ على أية حال كل سنة وأنت طيب .

ضحك (خالد) فى حين قدمت له (منال) هديتها قائلة :

ـ كل سنة وأنت طيب يا أستاذ (خالد) .

كذا قالت (ماجدة) :

ـ كل سنة وأنت طيب يا أستاذ (خالد) .

ونظر إلى (منال) بامتنان قائلاً :

ـ أشكركما ، وأرجو ألا تكونا قد كلفتما نفسيكما بأكثر مما يجب ، فهديتى الحقيقية هى حضوركما عيد ميلادى .

ثم أردف قائلاً :

ـ هل أعجبكما منزلى ؟

ـ أعجبنا ؟ تقصد : بهركما منزلى ؟ إنه يماثل قصرًا أوربيًا .

ـ ليس إلى هذا الحد .

سألت (منال) :

ـ أظن أنك أردت أن يشير إلى مدى ثرائك ؟

ـ أؤكد لك أننى لم أرمِ إلى ذلك مطلقًا .. فقط أردت أن يتميز بالجمال والأناقة ، وتتوفر به كل أسباب الراحة .. وأظن أننى قد نجحت فى ذلك .. كما أظن أنه لا يوجد ما يعيب فى ذلك .

حضرت (سامية) سريعًا لتقطع عليهم الحديث قائلة :

ـ (خالد) .. إن الناس بانتظارك لكى تطفئ شموع التورتة .

ـ (سامية) لماذا لا تعفيننى من تلك الإجراءات السخيفة التى تتبع فى أعياد الميلاد ؟

أجابته قائلة :

ـ لكنها تقاليد أعياد الميلاد يابن خالتى .

ـ تقاليد لا مبرَر لها .

وهزَ كتفيه مستسلمًا وهو يردف قائلاً :

ـ لكن .. ماذا أفعل ؟

ثم أشار إلى (منير) والفتاتين قائلاً :

ـ هيا بنا لنقوم بتنفيذ تلك التقاليد المتعارف عليها .

قالت (منال) معتذرة :

ـ اسمحوا لى سأنتظر أنا هنا .

ـ كيف ذلك ألا تشاركيننا تلك اللحظة التاريخية ؟ اللحظة التى أحتفل فيها بانقضاء سنة أخرى من عمرى ؟

ـ إننى لا أحب الأماكن المزدحمة ، كما أننى أشعر بثقل فى رأسى .

سألها (منير) قائلاً :

ـ هل تحبين أن أكشف عليك ؟

إبتسمت قائلة :

ـ كلا .. إن الأمر لا يستحق هذا .. إنه مجرَد صداع بسيط .

نظرت إليها (سامية) شزرًا ، وهى تتعلق بذراع (خالد) قائلة :

ـ دعها على راحتها .

ـ لكنه جلس بجوارها قائلاً :

ـ حسن .. لن أذهب لإطفاء الشموع ، ما لم تأتى معى .

أحست (منال) بالحرج من تصرفه فقالت :

ـ لكن أصدقاءك وضيوفك ينتظرونك .. أرجوك لا تحاول ...

قاطعتها (ماجدة) قائلة :

ـ هيا يا (منال) .. عليك أن تشاركينا ذلك الأمر .. مادامت هذه هى رغبته .

ابتسم (منير) قائلاً :

ـ نعم إننى أعرف ابن خالتى جيدًا .. فهو شخص عنيد جدًا .. وإذا ما أصر على شىء فلن يتراجع عنه .

بينما لم تستطع (سامية) أن تكظم غيظها ، أكثر من ذلك .. فتأهبت لمغادرة المكان قائلة :

ـ إننى فى انتظارك لدى البوفيه يا (خالد) ، إلى أن تنتهوا من لعب الأطفال هذا .

ووجدت (منال) نفسها مضطرة لمرافقته إلى

البوفيه .. وقد أحست فى أعماقها بشىء من السعادة ، لهذا الاهتمام الذى يبديه نحوها ، وتساءلت مرة أخرى عن سر هذا الاهتمام الذى يظهره لها .

وعادت إلى حيرتها .. هل تفتح الباب أمام هذه السعادة التى تتسلل إلى قلبها ، وتحرك مشاعرها ، وهى لا تعرف أى مجهول تخفيه وراءها ؟ أم تقتنع براحة البال ، وبتلك المشاعر الساكنة ، التى برغم أنها تجعل حياتها راكدة ، إلا أنها تعفيها من الخوف من المجهول ؟

إنها حقًا حائرة ..

★ ★ ★



٩ ـ الرجل الذى أعرفه ..

سأل (خالد) ابن خالته ، وهو يغادر سيارته قائلاً :

ـ هل أوصلت الفتاتين ؟

قال (منير) :

ـ نعم .

ـ ولماذا تأخرت ؟

ـ لقد انتهزتها فرصة لكى أهرب من بعض المدعوين السخفاء هنا ، ثم تلفت حوله قائلاً :

ـ إننى أرى أنهم قد انصرفوا .

ـ نعم .. وهل كنت تنتظر منهم أن يبقوا حتى الآن ؟ إن الساعة قد جاوزت منتصف الليل .

ـ حسن .. إذن سأصحب (سامية) ، وننصرف بدورنا .

قال له (خالد) معترضًا :

ـ إلى أين ستذهب ؟

ـ إلى منزلى بالطبع .

ـ كلا .. إنك ستبقى هذه الليلة معى هنا .

ـ لكن ...

قاطعه (خالد) قائلاً بحزم :

ـ لا مجال للاعتراض .. إنك مرتبط بالعمل فى المستشفى غدًا ، إذن فمن الأفضل أن تقضى ليلتك هنا ، بدلاً من سفرك إلى المدينة فى هذه الساعة المتأخرة .. ثم إن هذه ليست هى الليلة الأولى التى تبيتها معى .

قال له (منير) مازحًا :

ـ هل أعدّ هذه معايرة ؟

ـ يا أخى ليست معايرة ولا أى شىء من هذا القبيل .. كل ما هنالك أننى لا أشعر برغبة فى النوم ، وأريد أن أتحدّث معك .

ـ آه .. إذن تريد شخصًا يسليك .. وتضيع معه الساعات المتبقية من الليل .

ـ نعم .. ولن أجد من هو أفضل منك لذلك .

ـ هل قالوا لك إننى أقوم بتسلية الآخرين ؟ ثم إنك رجل ثرى ، وتستطيع أن تقضى الليل ساهرًا وتنام طوال النهار ، فلن يحاسبك أحد .. أنت الذى تدير الأعمال والمشروعات هنا .

أما أنا فلدى عمل فى الصباح الباكر ، ولا أستطيع أن أتأخر عن عملى .

قال له (خالد) بلهجة جادة :

ـ إننى أتكلم بجد .. أريد أن أتحدّث إليك .

قال له (منير) ، وقد تخلى عن المزاح بدوره :

ـ وماذا عن (سامية) ؟

ـ ستبيت معك الليلة هنا .. وهل فى ذلك مشكلة ؟

ـ حسن .. إذا كان الأمر كذلك .. دعنا نختر ركنًا من الحديقة لنجلس فيه معًا ونتحدّث .

واتخذا ركنًا قصيًا من الحديقة ليجلسا فيه ، حيث قال (خالد) محدثًا (منير) :

ـ إننى أفكر فى بناء مستشفى استثمارى فى (القاهرة) .. وأظن أننى سأحتاج إليك للإشراف على هذا المستشفى .

نظر إليه (منير) بدهشة قائلاً :

ـ أنا ؟

ـ نعم .. وما المانع ؟

ـ إننى لا أفهم فى مسألة الإشراف الإدارى هذه .. فأنا لا أجيد شيئًا سوى الطب .

- لكنك ستزاول عملك كطبيب فى المستشفى ، بالإضافة للإشراف العام عليها .

أنت تعرف أن لدىَ عددًا من الأعمال المختلفة ، ووقتى لن يسمح لى بالإشراف المباشر على مستشفى كهذا .

ثم إننى بحاجة إلى شخص أثق به ، لتولى هذا الأمر .. ولن أجد من أثق به أكثر منك .

- لكن ماذا عن مستشفى (الحامول) ؟

- إن مستشفى (الحامول) لن يغلق أبوابه لأنك لن تعمل به .. هناك الكثيرون غيرك من الأطباء .

- لكننى تعلقت بهذا المستشفى ، وبالمكان هنا بين أهلى وأحبائى ، ولا أظن أننى من هواة العمل فى المستشفيات الاستثمارية .

- سأضاعف راتبك إلى ثلاثة أمثال ما تحصل عليه هنا .

ابتسم (منير) قائلاً :

- المسألة ليست مسألة راتب .. ثم إنك تعرف أن الأمور المادية لا تعنينى كثيرًا .

- لأنك تفتقر إلى الطموح .. ماذا سيقدم لك مستشفى خيرى كمستشفى (الحامول) ، وتلك العيادة الصغيرة فى المدينة المجاورة ؟

- إذن لِمَ تطوعت بإنشائه ، طالما أن هذه هى نظرتك إليه ؟

- لأنك ألححت علىَ فى الأمر .

- فقط .. تنفق على مستشفى كبير كهذا كل هذه التكاليف لمجرَد أننى ألححت عليك لإنشائه ؟

- ولأننى أردت أن أقدَم خدمة لأهالى البلدة التى ينتمى إليها أبى .

- تقصد التى تمتد إليها جذورنا .. وربما لهذا السبب ، ودون أن تدرى ، وجدت نفسك تفضل الإقامة هنا عن أى مكان آخر ، بعد عودتك من أوربا .

- هذا لا يمنع أن يسعى المرء لتحقيق طموحاته فى أى مكان .

بالنسبة لى فإقامتى فى (الحامول) ، لا تحول بينى وبين حرية الحركة ، وأعمال مثل إقامة مستشفى (الحامول) ومصنع منتجات الألبان ، لا تمنع من السعى وراء أعمال مثمرة أكثر تنمية لرأس المال .

- إننى لا أفهم فى مثل هذه الأمور .. كل ما أفهمه هو أننى مرتبط بهذا المكان ، ولا أرغب فى مغادرته .

- كما تريد .. لقد ظننت أنك سترحب بالفكرة .. وتشكرنى عليها .

- إذا كان هناك ما يستحق أن أشكرك من أجله .. فهو أنك قد استجبت لفكرتى بإنشاء هذا المستشفى .. وأنك سمحت لى بالعمل فيه ، حيث تتاح لى الفرصة لعلاج هؤلاء البسطاء .. والذين لا تسمح لهم الظروف ولا الإمكانيات ، بالسفر للعلاج فى (القاهرة) أو فى أى مكان آخر .

ابتسم (خالد) وهو يتأمله قائلاً :

- أحيانًا أعجب بك لمثاليتك الشديدة هذه .. وأحيانًا أخرى أرى أنك أكبر أحمق قابلته فى حياتى .

- دعك منى .. وقل لى ، ما رأيك فى (منال) ؟

قال له (خالد) وقد بدا وكأنه بوغت بالسؤال :

- (منال) .. ولماذا تسألنى عنها ؟

قال (منير) :

- لقد ظننت للحظة ...

ثم توقف عن متابعة الكلام ، وقد بدا عليه التردد :

قال له (خالد) باهتمام :

- لماذا لا تتكلم ؟

- لا شىء .. أردت أن أقول .. إننى ظننت للحظة أنك شديد الإعجاب بها .

تراجع (خالد) فى مقعده وهو يغمض عينيه للحظة ، ثم يفتحهما قائلاً :

- لا أستطيع أن أنكر ذلك .

- إذن .. فقد كان ظنى صحيحًا .

- أقول لك الحقيقة .. لم يسبق لى برغم كل الفتيات اللاتى قابلتهنّ ، وعرفتهنّ فى حياتى .. أن أعجبت بفتاة مثلها .

- أظن أنها تستحق الإعجاب بالفعل .. لكن هل توقف إحساسك بها عند هذا الحد ؟

- ماذا تعنى ؟

- أعنى ألا تشعر بأن إحساسك بها قد يتطور إلى ما هو أكثر من الإعجاب ؟

- ابتسم (خالد) قائلاً :

- لا أظن .

- لماذا ؟ ألأنها فتاة بسيطة لا تناسب ثريًا مثلك ؟

- لا علاقة للفقر ولا للثراء بالأمر ، كل ما هنالك أننى لست سريع التأثر عاطفيًا .

ربما أعجب بفتاة ما .. وربما تستهوينى فيها ميزة ما ، لكنى لا أسمح لمشاعرى بأن تتجاوز إلى ما هو أكثر من ذلك .

ـ ليس سهلاً على المرء أن يحكم مشاعره دائمًا .
ـ حتى هذه اللحظة مازلت أحكمها .
ـ ربما كنت تتوهم ذلك .. أو ربما كان هذا هو ما يصوره لك غرورك .
ـ لكن لماذا تبدى هذا الاهتمام بالفتاة ؟
ـ إننى مهتم بك .. لقد آن الأوان لكى تتخلى عن لقب العزب الثرى الوسيم ، لتصبح الزوج الثرى الوسيم ، فقد تجاوزت الثلاثين من عمرك .
ابتسم (خالد) قائلاً :
ـ ولماذا لا تقول هذا الكلام لنفسك ؟ فأنت تقاربنى فى العمر تقريبًا ؟
تأكد أنى لن أتراجع .. حينما أجد الفتاة المناسبة .
ـ ألا تجد فتاة مثل (منال) مناسبةً ؟
ـ ليس بالنسبة لى .
ـ وماذا عن أختها ؟ لم تكن الوحيد الذى لاحظ اهتمام شاب بفتاة ، فقد لاحظت أنا الآخر ، أنك تبدى اهتمامًا بأختها .
ـ ليس على النحو الذى تتصوره .. إن الفتاة مريضة .. وأظن أن مرضها خطير .

هبَ (خالد) من فوق مقعده وقد بدا مهتمًا بالأمر ليقول :
ـ هل تأكدت من ذلك ؟
ـ صمت (منير) برهة قبل أن يقول :
ـ ليس تمامًا .. لكن من ملاحظاتى الأولية .. فإن مرضها يتجاوز مجرد نوبة إغماء ، وصداع شديد ، وضعف عام .
بالإضافة إلى ما لاحظته من محاولتها إخفاء حقيقة مرضها .. وتهربها من توقيع كشف طبى دقيق عليها .
قال (خالد) وهو يحاول إنكار ما سمعه :
ـ كلا .. أظن أنك تبدى بعض المبالغة فى ملاحظاتك الطبية هذه .
ـ أتمنى ذلك .
صمت (خالد) برهة وهو يفكر ، وقد بدت ملامح الاهتمام على وجهه .
ثم تحدث إلى (منير) قائلاً :
ـ (منير) .. أريد منك أن تفحص الفتاة فى المستشفى فحصًا دقيقًا وتطلعنى على حقيقة الأمر .
ـ هذا يتعارض مع شرف المهنة .
قال له (خالد) بنبرة جادة :

ـ أرجوك يا (منير) .. لا تتحدّث عن الأمر بهذا الاستخفاف ، ودعك من هذه الكلمات التى تعلمتها .

إننى مهتم بهذا الأمر .. ولا يمكننى أن أتصوّر أن فتاة صغيرة السن مثلها ، وتملك كل هذا القدر من الرقة والجمال ، وقد وقعت ضحية مرض خطير ، يمكن أن يعرض حياتها للخطر .

إننى مستعد لمساندتك فى علاجها إذا لزم الأمر .

ـ لقد حاولت إقناعها بالحضور إلى المستشفى .. لكنها تحاول التهرب من ذلك .

ـ ابذل كل جهدك من أجل إقناعها .. ومن ناحيتى سأفعل ذلك .

ـ حدجه (منير) بنظرة فاحصة قائلاً :

ـ هل أسألك سؤالا ؟

ـ تفضّل .

ـ هل تبدى كل هذا الاهتمام بالفتاة .. من أجل الفتاة نفسها أم من أجل أختها ؟

ـ بل من أجل الدافع الإنسانى .

إبتسم (منير) قائلاً :

ـ هذا هو (خالد) ابن خالتى ، الذى أعرفه متميزًا بإنسانيته .. والذى يختفى وراء رجل الأعمال الثرى .

★ ★ ★

١٠ ـ لا تعاندى قلبك ..

ارتبكت (منال) حينما رأته شاخصًا أمامها ، وقد اجتاز البوابة الخارجية المفتوحة للمنزل .

ابتسم لها قائلاً :

ـ صباح الخير يا آنسة (منال) .

أومأت له برأسها إيماءة خفيفة ، وهى تقول له بصوت ينم عن ارتباكها :

ـ صباح الخير يا أستاذ (خالد) ..

ـ آسف إذا كنت قد اقتحمت المكان فجأة هكذا .. لكننى وجدت البوابة الخارجية مفتوحة ، وكنت أهم بطرق الباب الداخلى ، حينما رأيتك تفتحينه .

ـ عفوًا .. ولكن هل هناك شىء ؟

ـ هل هذه هى الطريقة التى تستقبلين بها ضيوفك ؟

ـ معذرة .. إننى بالطبع لا أستطيع أن أدعوك للدخول .. فأنت تعلم أننى أقيم هنا أنا وأختى بمفردنا .

ـ آسف إذا كنت قد تصرفت بما يتجاوز حدود

اللياقة .. لكنى أردت أن أتحدث إليك .. أيمكن أن نتبادل الحديث ونحن نسير معًا بعيدًا عن المنزل ؟

ـ أستاذ (خالد) .. لا أدرى ما هو الشىء الذى تريد أن تحادثنى فيه ؟

لكن يبدو أنك تنسى أننا هنا فى بلدة ريفية .. وزيارتك لمنزلنا .. وسيرى معك عبر الحقول ، أمر يثير الأقاويل ويسىء إلى سمعة فتاة مثلى هنا .

قال (خالد) متعمدًا استفزازها :

ـ كنت أظنك قوية ، بالقدر الذى يجعلك لا تخافين أقاويل الآخرين .

ـ إننى قوية بالقدر الذى يجعلنى أحافظ على سمعتى وسمعة أختى .

ـ اطمئنى ، الكل يعرف عنى هنا أننى لا أسىء إلى سمعة الفتيات .. كما أن الكل ـ بحسب ما سمعت ـ يشيد بك وبأختك .

ـ لكنى سمعت شيئًا آخر عنك .

ـ ما الذى سمعته ؟

ـ لا يوجد ما يدعونى إلى الحديث معك فى أمور شخصية خاصة بك .

ـ ربما أنت الوحيدة التى أقبل أن تتحدث معى ، فى أى أمر يخصنى .

تضرج وجهها بالاحمرار .. لكنها حاولت أن تجعل صوتها قويًا ، وهى تسأله قائلة :

ـ أستاذ (خالد) .. ما الذى تريد أن تحادثنى بشأنه ؟

ـ لماذا لا نبتعد عن الرسميات ، فأدعوك (منال) ، وتدعيننى (خالد) ؟

ـ ولماذا تريد أن نرفع الكلفة بيننا ؟

ـ ربما لأننى أحس بأنك قريبة إلى نفسى .

حاولت أن تتغلب على ضعفها الأنثوى وارتجافة يدها ، وهى تقول له بنبرة صارمة :

ـ هل هذا هو ما جئت لتقوله لى ؟

ـ بالطبع لا .. لكنى جئت لأقدم لك عرضًا .

ـ وما هو ؟

ـ بما أنك هنا فى إجازة .. وبما أنك تشعرين بالسأم والضجر ، لعدم وجود ما يشغلك فى هذه البلدة الهادئة .. إذن لماذا لا تأتين للعمل فى مصنعى طوال فترة الإجازة ؟

ـ أعمل لديك ؟

ـ وما المانع ؟

- وماذا أعمل لديك ؟
- سكرتيرة خاصة لى .
قالت له بانفعال شديد :
- أتريد منى أن أكون سكرتيرتك ؟
- قال لها ببرود :
- حسن .. لا تغضبى .. لا داعى لأن تكونى سكرتيرتى :
- ما رأيك لو جعلتك مشرفة على خطوط الإنتاج بالشركة ؟
إنه عمل تشغلين به فراغك .. وسوف أمنحك أجرًا مجزيًا .
اجتاح (منال) غضب شديد وهى تقول :
- وفر أجرك لمن يستحقه .. فأنا لست بحاجة لنقودك .. ولا لاهتمامك بشغل وقت فراغى .. فأنا أظن أن لديك اهتمامات أخرى تشغلك ، وهى أكثر استحقاقًا لاهتمامك .
- لماذا أنت حادة الطبع هكذا ؛ أنا لم أقصد الإساءة إليك بأى حال من الأحوال .
كل ما هنالك ، أننى أردت أن أساعدك ، على التغلب على رتابة الحياة هنا .

عقدت ذراعيها أمام صدرها قائلة :
- وقد سمعت إجابتى .. ألديك شىء آخر تريد أن تقوله ؟
وفى تلك اللحظة لمح (ماجدة) ، وهى تأتى من الخارج .. فقال لها :
- نعم .. ولكنى أريد أن أتحدث إلى أختك ، وليس معك هذه المرة .
- كل ما يخص أختى يخصنى ، وتستطيع أن تقوله لى .
قال لها بتحدٍ :
- كلا .. كل ما يخص أختك يعنيها هى .. ولا يخص أحدًا سواها .
كانت (ماجدة) قد اقتربت فى هذه اللحظة ، وما إن رأته حتى حيته بترحاب قائلة :
- أستاذ (خالد) .. أهلاً بك فى منزلنا .. تفضل .
نظر إليها وفى عينيه نظرة حنون قائلاً :
- أهلاً بك يا (ماجدة) .. إننى سعيد لأن أراك فى صورة طيبة .
ثم أردف قائلاً ، وهو ينظر إلى أختها :
- وأشكرك على هذه المقابلة الطيبة .. فقد عوضت

بعض الشىء من جفاء المقابلة التى استقبلتنى بها أختك .

ـ لكن لا يصح أن تقف على الباب هكذا .. تفضل بالداخل .

صاحت (منال) فيها بحدَة قائلة :

ـ إلى أين يتفضل ؟ أنسيت أننا نقيم هنا بمفردنا ؟

قالت (ماجدة) :

ـ وماذا فى ذلك ؟ إن أخلاقنا معروفة للجميع .

قالت (منال) وهى مستمرة فى حديثها :

ـ لكن تبادل الزيارات على هذا النحو ...

قاطعها (خالد) ، وهو يوجه حديثه قائلاً لـ (ماجدة) :

ـ أختك معها حق .. لابد من المحافظة على التقاليد والأصول المتبعة هنا .

ثم أردف قائلاً لها :

ـ هل يمكننا أن نتحدَث دقيقة بمفردنا ؟

قالت (منال) :

ـ وهل تعد هذا من ضمن الأصول والتقاليد ؟

لم يهتم (خالد) بما قالته (منال) ، واجتذب (ماجدة) من مرفقها لينتحى بها جانبًا ، وهو يهمس لها قائلاً :

ـ (ماجدة) .. لقد تحدثت مع الدكتور (منير) بشأنك .. إنه مهتم بزيارتك له فى المستشفى .. وكذلك أنا .

إن (منير) طبيب يتميز بكفاءة عالية فى مجال تخصصه .. هو فقط شديد التواضع ، ويفضل العمل فى مستشفى ريفى على العمل فى أكبر المستشفيات الاستثمارية ، أو على أن تكون له عيادة فى أرقى مكان بالقاهرة .

هناك أشخاص لا تستطيعين فهمهم .. فقد خلقوا هكذا .. ومن بينهم (منير) ابن خالتى .

لكنى أؤكد لك أنه طبيب بارع .. وأظن أنه يستطيع مساعدتك على تجاوز الأزمة الصحية التى تمرين بها .

ـ هل قال لك شيئًا عن مرضى ؟ أعنى هل أخبرك أن مرضى خطير؟

ـ كلاَ .. إنه لم يدخل معى فى أى تفاصيل بخصوص حالتك الصحية .. كل ما هنالك أنه طلب منى ، أن أذكرك بوعدك له بزيارته فى المستشفى .. فهو يريد فحصك فحصًا دقيقًا وشاملاً .

قالت (ماجدة) بصوت خافت وينطوى على نبرة حزينة :

ـ شكرًا له .. وشكرًا لك على هذا الاهتمام .

ـ هل ستذهبين إلى المستشفى ؟

ـ نعم .. ولكن بدون موعد محدد .. فلدى بعض الأعمال التى يتعين على أن أنجزها أولاً .

سألتها أختها بعد انصرافه ، قائلة :

ـ ماذا كان يقول لك ؟

ـ كان يحثنى على الذهاب إلى المستشفى .

ثم التفتت إليها قائلة بضيق :

ـ لماذا تتعاملين معه هكذا ؟

ـ لأنه يحاول أن يتسلى .

ـ يتسلى ؟!

ـ نعم .. إنه يظن أن فتاتين تعيشان هنا بمفردهما فى (الحامول) ، لا بد وأن ينبهرا بشخص مثله ، يملك الوسامة والثراء ، وتلاحقه الفتيات ، وأنه يمكنه أن يتخذ منهما وسيلة لملء فراغه هنا ، حينما يكون بعيدًا عن الأخريات .

لذا فهو يلجأ لاستخدام المناورات .

مرة يدعونا إلى منزله بحجة عيد ميلاده .. ومرة أخرى يتظاهر بأنه يسعى لمساعدتى بالعمل لديه فى المصنع .. ويتظاهر بأنه يبدى نحونا كثيرًا من الاهتمام .

نظرت إليها أختها باستغراب قائلة :

ـ لا أدرى من أين تأتيـن بهـذه الأفكـار الغريبـة ؟ ولماذا تقابلين معاملته الودية لنا بسوء النية هذا ؟

ـ وأنا لا أدرى لماذا تمنحينه كل هذه الثقة ، برغم أننا لم نعرفه إلا منذ فترة قصيرة ؟

ـ لأننى لم أر منه ما يجعلنى لا أثق به .. أتظنين أن شخصًا مثله لا عمل لـه سوى ملاحقة الفتيات ، والسعى وراء المناورات العاطفية ؟

إنه رجل أعمال .. ولم يكن ليصل إلى كل النجاح الذى وصل إليه .. لو أن حياته كانت قاصرة على اللهو وملاحقة الفتيات .

ـ لكن .. لماذا يبدى كل هذا الاهتمام الزائد بنا ؟

ـ هذا شىء يستحق أن نشكره عليه ، لا أن نلومه .. فقد وجدنا هنا فتاتين تعيشان بمفردهما ، دون أقارب يمكنهما الاعتماد عليهم بعد أن فقدا الأب والأم .. كما أننا ننتمى إلى نفس البلدة التى ينتمى إليها ، والتى ينتمى إليها أبواه وأجداده .. فأراد أن يتصرف كأى شاب مصرى شهم ، ويعمل على أن يمد لنا يد المساعدة .

ابتسمت (منال) قائلة فى سخرية :

ـ كأى شاب مصرى شهم .. أتظنين أن شخصًا مثله .. عاش كل هذه السنوات فى أوربا ، يفهم معنى تلك الأشياء التى تتحدثين عنها ؟

ـ ولِمَ لا ؟

ـ إن الذين يفهمون معنى تلك الأشياء ، أصبحوا قلائل .. أشخاص مثل المرحوم والدنا ، ومثل الحاج (إبراهيم) .

وهؤلاء الأشخاص أصبحوا نادرى الوجود فى مجتمعنا .. فما بالك بشخص ابتعد عن هذه القيم والمعانى لفترة طويلة من عمره ، وتطبَّع بطبَائع الأوربيين ، وأصبحت القيم الحقيقية بالنسبة له ، هى قيم الربح والخسارة ؟ رجل يهتم بالاستثمارات والمشروعات .

ـ الشخص الأصيل لا يغيره الزمان ولا المكان ، وتظل هذه القيم راسخة فيه ، حتى لو بدا فى الظاهر غير ذلك .. ومن الواضح أن (خالد) يتميز بالأصالة ، وأن والده قد نجح فى غرس هذه القيم فيه .

أيضًا ، فلا يمكن أن يكون الشخص متهمًا ، لمجرّد أنه ثرى ويستثمر أمواله فى الأعمال والمشروعات ، بل العكس هو الصحيح ، فهذه قيمة يتعين أن تحسب له لا عليه .

ومن الظلم أن تحكمى على شخص مثله ، بأن القيمة الحقيقية الوحيدة فى حياته هى قيمة الربح والخسارة .

ـ إنه لو أراد أن يبحث لنفسه عن محام ليدافع عنه ، فلن يجد من هو أفضل منك فى هذا الشأن .

ـ إننى لا أدافع عنه .. لكنى لم أجد منه حتى الآن ما يدعو إلى عدم الثقة ، ولم أر فى شخصه إلا كل ما يستحق الاحترام .

وأعرف جيدًا أنك فى أعماقك ترين فيه ما أراه .. لكن كل ما هنالك هو أنك تخشينه .

ـ أخشاه ؟!

نعم تخشين أن تقعى فى حبه .

صاحت (منال) بانفعال قائلة :

ـ (ماجدة) .. ماذا تقولين ؟

ـ هذه هى الحقيقة التى تحاولين أن تخفيها يا (منال) .. ربما حتى عن نفسك .. لكن أختك التى تحبك تستطيع أن تراها بوضوح .

قالت (منال) بارتباك :

ـ إنك تقولين كلامًا غريبًا .. ولا أدرى من أين واتتك هذه الفكرة .. فأنا ....

قاطعتها (ماجدة) قائلة :

ـ أنت تكابرين يا (منال) .. والحب لا يعرف المكابرة .

قالت (منال) وقد تضرج وجهها بالاحمرار :

ـ حب ؟! ما هذا الهراء الذى تقولينه ؟

قالت (ماجدة) دون أن تأبه بكلمات أختها :

ـ أظن أن (خالد) يحمل لك قدرًا من الإعجاب .. فلا تضيعى الفرصة منك ، افتحى الباب أمام قلبك .

ثم تركتها وانصرفت دون أن تعقب بأى كلمة أخرى ، وقد تملكتها مشاعر شتى .

* * *



١١ ـ حب حائر ..

تنهّدت (ماجدة) بعمق وهى ترقب انصراف أختها من المنزل .

تمنت من أعماق قلبها ، أن تكون ذاهبة إلى المكان الذى تتوقعه ، وأن تكون فى طريقها للقاء (خالد) كى تعتذر له عن الأسلوب الذى عاملته به بالأمس .

إنها تعرف أنها قد أحبته ، وإن حاولت إخفاء ذلك .

وقد رأت فى عينى (خالد) ما ينم عن إعجابه بـ (منال) .. لكنها لا تعرف ما الذى يمكن أن يتطوّر إليه هذا الإعجاب ، وهل يمكن أن يصل إلى الحب .. والزواج ؟

أغمضت عينيها وهى تتمنى لأختها أن تحظى بشخص مثله .. لكن هذا يبدو كما لو كان حلمًا جميلاً .. فبرغم ثقتها بأن كل المزايا التى تحظى بها أختها ، من جمال وجاذبية ، وما تتميز به من شخصية مؤثرة ، جعلتها محط اهتمام وإعجاب الكثيرين من الرجال الذين أعجبوا بها ، وأرادوا خطب ودها والزواج منها .

إلا أن هذه الثقة تهتز ، أمام ما تراه من عدم تكافؤ بين ما يحظى به (خالد) من مزايا تفوق مزايا أختها .

فشخص مثله لا بد أنه يستطيع أن يختار ما يتمناه ، من الفتيات الجميلات الثريات ، اللاتى تتناسبن مع ثرائه ومكانته الاجتماعية .. ووسامته الملحوظة .. مما يقلل من فرصة أختها فى الاختيار .. فضلاً عن أنه قد لا يكون مهتمًا بالارتباط بأى فتاة .

لكن الحب لا يخضع لهذه المعايير الجامدة .. ولا يمكن أن تقاس المشاعر بحساب المزايا التى يحظى بها كل طرف ، وتعادلها مع الطرف الآخر .

من يدرى ؟ فربما أحب (خالد) (منال) .. وربما اختارها دون سواها لتكون زوجة له .. وهذا هو الحلم الذى تتمنى تحقيقه قبل أن تغادر الدنيا .

وإذا كان هذا الحلم قد يصعب تحقيقه بالنسبة لـ (منال) ، فإن حلمها هى من المستحيل أن يتحقق .

لقد أحبت (منير) .. أحبته منذ أن رأته .. تسلل إلى قلبها بالرغم منها .

وبدون أن تدرى كيف حدث ذلك ، لكنه حدث بالرغم منها ، فوجدت نفسها تتعلق بهذا الطبيب الأسمر البشرة .. العميق النظرات ، ذى النبرة الهادئة الحنون .

وقد أخطأت بذلك خطأً كبيرًا ..

ففتاة مثلها كان يتعين عليها ألا تحب .. فالحب بالنسبة لفتاة مريضة مثلها توشك على الموت ، كان لا بد أن يكون من المحرمات .

فأى أمل يمكن أن تتعلق به فى حب كهذا .. وهى تنتظر الموت بعد أشهر معدودة ؟!

لكن قلبها ما زال حيًا .. ينبض بين جوانحها .. ومازال مهيأً للحب حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة .

عادت لتتنهَّد بعمق مرة أخرى وهى تقول لنفسها :

ـ لكن .. أى معنى .. وأى غاية لهذا الحب الذى أحسه تجاه (منير) ؟

إن (منير) ينظر لى كمريضة تحظى باهتمامه من الناحية الطبية ، ولا يمكنه أن يهتم بى فيما هو أكثر من ذلك .

ولا يمكن أن ألومه على ذلك .. خاصة لو وصل إلى الحقيقة القاطعة بشأن مرضى .. ودلته الفحوص الطبية على أننى حالة ميئوس من شفائها .

إن أقصى ما يستطيعه هو أن يشعر بالأسى من أجلى .

نعم إن (منال) قد تجد لها فرصة مع (خالد) ..

أما بالنسبة لى ، فليست لى أية فرصة فى الحب أو الحياة .

نعم .. إنه حب مستحيل .. حب وُلِدَ ليموت .

وترقرقت عبرة من عينيها .. مسحتها سريعًا .. وهى تحاول أن تتغلب على تلك الأحاسيس المؤلمة .

وهمت بمغادرة الحجرة .. لكنها توقفت فجأة .. وقد عادت الرؤية لتتداخل أمام عينيها .

وأحست بخدر خفيف فى أطرافها .. وبذلك الصداع اللعين يتسلل إلى رأسها ، فجاهدت حتى وصلت إلى الفراش وألقت بنفسها عليه ، وهى تتنفس بصعوبة شديدة .

★ ★ ★

تنقل (خالد) بين العنابر التى يضمها مصنعه ، وقد ارتدى معطفًا أبيض مماثلاً لما يلبس العمال والمهندسون العاملون فى المصنع .. وقد أخذ يبدى ملاحظاته على العمل ، ويعطى تعليماته بشأن حسن سيره .

وبينما كان مستغرقًا ، فى مراقبة إحدى ماكينات تغليف الجبن ، حضر إليه أحد الأشخاص قائلاً :

ـ (خالد) بك .. هناك فتاة ترغب فى مقابلتك .

سأله (خالد) قائلاً :

ـ ألم تذكر اسمها ؟

أجابه الرجل قائلاً :

ـ إنها لم تذكر اسمها .

ـ دعها تنتظرنى فى حجرة المكتب ، وسوف آتى لمقابلتها .

وبعد أن انتهى من إعطاء ملاحظاته توجه إلى مكتبه ، بعد أن نزع المعطف الأبيض عنه .

وما كاد يخطو داخل الحجرة ، حتى نظر إلى الفتاة الجالسة قائلاً وهو يبدى دهشته :

ـ آنسة .. (منال) ؟

صافحته (منال) على استحياء قائلة :

ـ آسفة إذا كنت قد جئت فى وقت غير مناسب .

ـ مطلقًا .. أنت تأتين فى أى وقت تشائين .

ـ لقد جئت لأعتذر .

ـ عن أى شىء .

ـ عما قلته لك حينما أتيت لزيارة منزلنا .. يبدو أننى أسىء التصرف دائمًا معك .

ابتسم (خالد) وهو يحاول أن يزيل عنها الشعور بالحرج قائلاً :

ـ بالعكس .. لقد تصرفت كما تفعل أى فتاة محترمة ، تحرص على سمعتها وسمعة الأشخاص الذين ينتمون إليها .

ـ هذا لا ينفى أننى كنت فظة معك بعض الشىء .

ـ أنا الملوم فى ذلك ، فقد كان يتعين علىَ أن أراعى التقاليد هنا ، ولا آتى لمقابلتك بمفردى .

ـ أيعنى هذا أنك لست غاضبًا منى ؟

حاصرها بنظرة عميقة أجبرتها على خفض بصرها ، وقد بدت كأنها تجتذبها إليه قائلاً :

ـ من الصعب علىَ أن أغضب منك .

ثم أردف قائلاً بمداعبة وهو يشير إليها بإصبعه .

ـ إن عيبك الوحيد ، هو أنك حادة الطباع بعض الشىء .

قالت له بصوت خافت :

ـ إننى أعترف بأننى عصبية بعض الشىء ، ولا أدرى كيف أتغلب على هذا العيب .

ابتسم (خالد) قائلاً :

ـ أظن أن إحساسك بمسئوليتك تجاه أختك ، وتجاه نفسك ، فى هذه السن المبكرة ، بعد وفاة والديكما ، له دخل فى ذلك .

واستطرد قائلاً :

ـ بالمناسبة .. ما أخبار أختك ؟

نظرت إليه وقد أدهشها هذا الاهتمام المفاجئ بأختها قائلة :

ـ (ماجدة) ؟ إنها بخير .

ـ لماذا لم تأت معك ؟

قالت له بخجل :

ـ لكنها ليست هى التى أخطأت فى تصرفها معك .. بل أنا .. لذا جئت بمفردى لأعتذر لك .. وهى لا تعرف أننى قادمة إلى هنا .

ـ هل تعرفين أنك تبدين أحيانًا رقيقة للغاية ؟

قالت له بخجل وهى تخفض بصرها :

ـ أشكرك .

ـ هل فكرت فيما قلته بشأن عملك معى فى المصنع ؟

ـ لقد جئت اليوم من أجل أن أعتذر لك ، عن تصرفى معك بالأمس فقط ، أما بشأن العمل فى المصنع ، فأنا لم أفكر فى ذلك بعد .

ـ ومتى تفكرين ؟

ـ إن ما يعنينى الآن هو الاهتمام بصحة أختى ..

لقد جئت إلى هنا بناءً على رغبتها وتنفيذًا لما نصحها به الطبيب .

ـ بالمناسبة .. ما هو المرض الذى تعانيه أختك ؟

ـ إنها تعانى بعض التوترات العصبية وضعفًا عامًا .

ـ هل هذا هو ما أخبَرَتْك به ؟

قالت له باستغراب :

ـ نعم .. وأخبرنى به الطبيب الذى كان يعالجها .

صمت برهة .. قبل أن يقول :

ـ أظن أنها بحاجة لرعايتك بالفعل .

نظرت إليه باستغراب .. قائلة :

ـ أشكرك .

قال لها وهو يتخلص من شروده :

ـ على أى شىء ؟

ـ على اهتمامك الزائد بأختى .

ـ من الواضح أنك تحبينها كثيرًا .

ـ إنها كل ما لى فى الدنيا .

نظر إليها بتأثر شديد .. ثم نهض مغادرًا مكتبه ، وهو يقف أمام النافذة ، وقد أخذ يفكر فى تلك الفتاة المسكينة ، التى يتهددها الموت وهى فى زهرة شبابها ، وفى أختها التى قد تكن لها كل هذا الحب ..

وتساءل .. كيف سيكون وقع الأمر عليها ، لو علمت أن أختها مريضة بهذا المرض الخطير ؟ وأى مأساة تنتظر الأختين ؟

أحست (منال) بالحرج .. وقد بدا كأنه لا يشعر بوجودها .

فنهضت قائلة :

ـ أستأذن الآن .

إلتفت إليها قائلاً :

ـ (منال) .

نظرت إليه قائلة :

ـ نعم .

ـ إننى أحب أن أراك دائمًا .. فهل تسمحين لى برؤيتك من آن لآخر ، دون أن يسبب لك ذلك حرجًا ؟

أثارت كلماته مشاعرها ، وتورد وجهها ، وقد أحست بارتباك شديد دون أن تدرى ماذا تقول له .

حاولت التغلب على مشاعرها المرتبكة .. وهى تسأله قائلة بصعوبة :

ـ هل تسمح لى بأن أسألك سؤالاً مباشرًا ؟

ـ تفضلى .

ـ لماذا تبدى كل هذا الاهتمام بى وبأختى ؟

ـ لأن فتاتين مثلكما تستحقان الاهتمام .
ـ هذه ليست إجابة .
ـ لا أستطيع أن أرد عليك بإجابة مباشرة عن سؤالك الآن .. لكننى أعدك بأنك ستحظين بهذه الإجابة فيما بعد .

غادرت مكتبه وهى فى حيرة من أمرها .
إنه يبدو أحيانًا وكأنه شديد الاهتمام بها .. وأحيانًا أخرى يبدو وكأنه لا يشعر بوجودها .
أحيانًا تحسّ بأنه أقرب ما يكون إليها ..
وأحيانًا أخرى يبدو وكأنه بعيد تمامًا عنها .
وتساءلت فى حيرة .. أيمكن أن يكون قد أحبها كما تتوهم أحيانًا ؟ أم أن لاهتمامه هذا أسبابًا أخرى ؟
بالنسبة لها فإن السبب الوحيد لمجيئها إليه اليوم هو أنها قد أصبحت واثقة من أنها تحبه ، وهذه حقيقة تقرّ بها وأصبحت لا تشك فيها .

★ ★ ★

١٢ ـ لن ننساك أبدًا ..

فوجئ (منير) برؤية (ماجدة) تأتى إليه فى المستشفى .. فغادر مكتبه ليرحب بها قائلًا :
ـ إننى سعيد لحضورك .
ـ لقد وعدتك بالحضور .
ـ لكنك تأخرت كثيرًا فى الوفاء بوعدك .. على أى حال ما يهمنى هو أنك قد جئت .
جلست (ماجدة) قائلة :
ـ أظن أن ما يهمك ، هو فضولك الطبى بشأن حالتى الصحية .
ـ إننى بالفعل شديد الفضول بشأن حالتك الصحية .. لكن لم يكن هذا هو دافعى الوحيد لرغبتى فى أن أراك .
ـ وما هى الدوافع الأخرى إذن ؟
ـ الرغبة فى رؤية إشراقة هذا الوجه الجميل مثلًا مرة أخرى .
ـ هل أعد ذلك غزلًا ؟

ـ إننى أعبر فقط عن إعجابى بهذه الإشراقة الجميلة فى وجهك .

ـ أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة .

ـ لكننى لا أجاملك .. إنك بالفعل تتميزين بإشراقة وجه رائعة ..

ـ لابد أنك قد لاحظت أن هذا الوجه يميل إلى الذبول .. وأن هذه الإشراقة توشك أن تنطفئ .

سألها قائلاً :

ـ لماذا تقولين ذلك ؟

ـ دكتور (منير) .. لقد تعرضت لنوبة مرضية أخرى هذا الصباح .

سألها باهتمام قائلاً :

ـ مماثلة للنوبة التى تعرضت لها من قبل ؟

ـ ليست بنفس القوة .. لكنها تتضمن نفس الأعراض السابقة .

ـ هل تسمحين لى بأن أفحصك ؟

ـ قبل أن تفحصنى أريد أن تعرف شيئاً .

وصمتت برهة وهى تستجمع شجاعتها ، قبل أن تقول :

ـ إننى مريضة بسرطان فى المخ .

تسمر (منير) فى مكانه وهو ينظر إليها فى ذهول .

كان يشعر بحسه الطبى بأنها مصابة بهذا المرض الخطير ، برغم أنه لم يفحصها فحصاً دقيقاً .. لكنه كان يتمنى أن يكون مخطئاً فى ظنه .

سألها (منير) :

ـ كيف علمت بذلك ؟

ـ الأطباء الذين فحصوا حالتى من قبل .. وقد أجمعوا على أن ما تبقى لى من العمر لا يتعدى أشهراً معدودة .

وفتحت حقيبتها لتقدم له التقارير الطبية التى تشخص حالتها قائلة :

ـ وهذه هى التقارير الطبية التى تؤكد ذلك .

اطلع (منير) على التقارير الطبية التى قدمتها له (ماجدة) .. وقد ارتسمت على وجهه ملامح الأسف .

فالتقارير تؤكد أن حالتها ميئوس منها بالفعل .

قالت له (ماجدة) بصوت خافت !

ـ هل علمت الآن لماذا لم أرغب فى توقيعك الكشف الطبى علىَّ ؟

فقد كنت أعرف أنه لا جدوى من ذلك .. فضلاً عن عدم رغبتى فى أن تعرف أختى بحقيقة مرضى .

- إذن فهى لا تعرف شيئًا عن حقيقة مرضك .

- كلا .. وأرجوك ألا تطلعها على ذلك .. فقد حرصت على إخفاء الأمر عنها ، منذ أن اكتشفت حقيقة مرضى .. لأننى لا أريد لها أن تتعذب من أجلى .

- إن السرطان لم يعد مرضًا يستحيل الشفاء منه .. فقد تقدمت الأبحاث الطبية كثيرًا فى هذا المجال .. لذا فأنا أرفض حالة اليأس والاستسلام ، التى تبدين عليها هكذا .

ابتسمت فى مرارة قائلة :

- دكتور (منير) .. لا تحاول أن تخدعنى أو تخدع نفسك .. أنت طبيب ، وطبيب أعصاب متخصص .. ومما لاشك فيه ، أنك تعرف جيدًا - خاصة بعد اطلاعك على هذه التقارير .. أنه لا أمل فى الشفاء .. فهذه حالة ميئوس منها .

- لا أحب أن تتكلمى بهذه الطريقة .. ولا أحب أن أراك بهذا اليأس .

- لست يائسة .. لكننى مستسلمة لقضاء اللَّه وقدره .. ولا أريد أن أخدع نفسى بآمال كاذبة وأوهام لن تتحقق .

كل ما أريده هو أن أرحل عن هذه الدنيا بهدوء .. وبأقل قدر من الآلام لمن حولى .

هم بأن يقول لها شيئًا.. لكنه أحجم عن ذلك .. وقد أحس أنه لا جدوى من الكلام ، وهى على هذه الدرجة من اليأس والاستسلام .

فصمت برهة .. قبل أن يقول :

- ومع ذلك .. فلابد من أن أقوم بفحصك .. ولست أنا وحدى .. بل سيكون معى نخبة من الأطباء الأكفاء .

إن لدينا هنا فى المستشفى أحدث الأجهزة والمعدات الطبية .. وتأكدى أنك ستلقين هنا عناية فائقة ...

قاطعته قائلة :

- أنا أعرف أنه لا جدوى من كل ذلك .. فقد وصل المرض إلى مرحلة متأخرة ، لن يجدى معها أى علاج .. وبالرغم من ذلك ، فسوف أنفذ لك ما تريده ، لأننى وعدتك ، ووعدت ابن خالتك بأن تفحصنى طبيًا نزولا على رغبتكما . كل ما أرجوه منك هو ألا تعلم (منال) بالأمر ، قبل أن أصارحها به أنا .

* * *

أطلق (منير) تنهيدة حارة من صدره ، قائلاً لابن خالته بنبرة حزينة :

ـ كما توقعت .. إن مرضها فى حالة متأخرة .

قال له (خالد) بأسى :

ـ ألا يمكن فعل أى شىء ؟

ـ مع الأسف .. لم يعد لدينا ما نستطيع أن نفعله .. إن ما تبقى لها فى الحياة أشهر قليلة .

هب (خالد) واقفا وهو يقول بانفعال :

ـ مستحيل .. مستحيل .. لابد أن تكون هناك وسيلة ما ، للتصدى لهذا المرض اللعين .. لابد أن تبحث عن وسيلة ما .

ـ لقد أرسلت تقريرًا بحالتها ، يتضمن صور الأشعة ومراحل تطور المرض ، وكافة التقارير الطبية السابقة ، إلى أستاذ متخصص فى علاج السرطان ، بأحد المستشفيات الأمريكية ، كمحاولة أخيرة للبحث عن وسيلة للعلاج ، أو التدخل الجراحى .. لكن لا أخفى عليك أن الأمل محدود للغاية .

أمسك (خالد) بساعدى (منير) قائلاً :

ـ أيا كانت نسبة الأمل فى شفائها ، علينا أن نتمسك به .. وأن نبذل كل جهدنا لعلاجها .

ـ أتمنى من الله أن أتلقى ردًا إيجابيًا خلال الأيام القادمة من الطبيب الأمريكى .

★ ★ ★

سألت (منال) أختها :

ـ إلى أين أنت ذاهبة ؟

ـ سأذهب لأتمشى قليلاً .

ـ هل آتى معك ؟

ـ لا داعى لذلك .

ـ لكن ليس لدى ما يشغلنى ، ويمكننى أن أصحبك .

ـ أفضل أن أسير بمفردى هذه المرة .

قالت لها (منال) ، وهى تتعجب من إصرار أختها على الذهاب بمفردها ، برغم أنها كانت تلحَ عليها فى مصاحبتها من قبل :

ـ كما تشائين .

لكنها تبعتها وقد أحست بالقلق من أجلها بعد أن لاحظت أنها أكثر ميلاً للعزلة فى الأيام الأخيرة .

وما لبثت أن تسمرت فى مكانها ، وقد فوجئت بها تلتقى بـ (خالد) ، الذى اصطحبها فى سيارته ، بعد أن استقبلها بترحاب كبير .

قال لها (خالد) :

ـ لقد علمت من (منير) ، أنك ترفضين السفر للعلاج بالخارج .. برغم أن الطبيب الأمريكى الذى درس حالتك ، قرر أنه يستطيع علاجك .

قالت له (ماجدة) بمرارة :

ـ وهل أخبرك الدكتور (منير) ، بنسبة الأمل فى الشفاء التى حددها الطبيب الأمريكى ؟ إنها لا تتعدى واحدًا فى المائة .

ـ أنا لا أعترف بمسألة النسب هذه .. وما دام هناك أمل فعلينا أن نتشبث به ، حتى ولو كان ربعًا فى المائة ..

ـ إننى لا أريد أن أموت بعيدًا عن وطنى وبلدى .

ـ قد ينتهى بك الأمر إلى العودة لوطنك سالمة ، وقد برئت من مرضك تمامًا .

ـ ومن أين آتى بتكلفة السفر إلى أمريكا والعلاج هناك ؟ إن أمرًا كهذا سيتكلف مبالغ باهظة .

لو علمت (منال) بالأمر فلن تتوانى عن بيع كل شىء .. الفدانين والبيت ، وأى مبلغ كانت تحتفظ به لنفسها ، من أجل الإسهام فى علاجى .. وسفرى . وأنا لا أريد أن أجعلها تقدم على هذه التضحية .. وأن أحرمها من كل مدخراتها فى الحياة ، من أجل

التعلق بأمل كاذب . يكفيها مصيبتها فى موتى .. فلن أجعلها تعيش من بعدى بلا أسرة وأيضًا بلا أى موارد مالية تعينها على مواجهة الحياة .. لا أريد أن تفتقر بسببى .

ـ لا تحملى همًّا .. فسوف أتكفل أنا بمصاريف السفر والعلاج .

نظرت إليه قائلة :

ـ أنت ؟!

ـ نعم .. إننى أملك الكثير من المال كما ترين .. وأنا مهتم كثيرًا بشفائك .

لذا فلن أجد ما هو أفضل من استخدام هذا المال فى هذا الهدف النبيل .

ـ ولكن ما ذنبك أنت لتتحمل نفقات علاجى ؟!

ـ لقد أخبرتك .. أننى أملك الكثير من المال .. ولا أجد لهذا المال أية فائدة ، إذا لم يستخدم من أجل هدف كهذا .

نظرت إليه بامتنان شديد قائلة :

ـ يا لك من إنسان نبيل ... لقد أحسست دائمًا بأنك لست بالصورة التى تحاول أن تصورك بها أختى .

ابتسم قائلاً :

- وما هى الصورة التى رسمتها لى أختك ؟
- أنك إنسان مادى .. عابث وأنانى .
قال لها مازحًا :
- ياه ! كل هذه الصفات السيئة تراها أختك فىّ ؟
- لقد كانت تحاول أن تبحث لنفسها عن مبرر لكى تكرهك .
سألها (خالد) بدهشة قائلاً :
- تكرهنى ؟! ولكن لماذا ؟
- لأنها أحبتك ..
تطلع إليها وقد ازدادت دهشته قائلاً :
- إننى لا أفهم .. كيف أرادت أن تكرهنى لأنها أحبتنى ؟
- إن (منال) تعتبر الحب ضعفًا .. لذا فهى تخشاه .. ولم ترد لنفسها أبدًا الوقوع فيه .. لذا حاولت أن تقاوم مشاعرها نحوك خاصة وقد أحست بالفارق الذى يفصل بينكما .. وحاولت أن تختلق الأسباب التى تجعلها تكرهك ، وتتغلب على هذا الحب .. برغم معرفتها بأنها أسباب غير حقيقية .
- يا لى من أحمق ! كيف لم أتبين ذلك ؟
- أرجو ألا تطلعها على ما قلته لك .. فلو عرفت

لغضبت منى جدًا ، أنا أعرف أنه لم يكن يتعين علىّ أن أطلعك على هذا السرّ .. ولا أدرى ما الذى دفعنى لأن أبوح لك به .. ربما لأننى أثق بك كثيرًا ؟
- أنا أيضًا أثق بك كثيرًا يا (ماجدة) .. لذا سأطلعك على سرى ، فأنا الآخر أحب أختك .. وأتمنى لو قبلت أن تكون زوجة لى .
صاحت (ماجدة) بانفعال قائلة :
- حقًا ! أشكرك .. أشكرك للغاية .
- تشكريننى على أى شىء ؟
- على أنك قد أدخلت هذه السعادة على نفسى .. فهذا أسعد خبر سمعته فى حياتى .. ولا أدرى لماذا تمنيت دائمًا منذ أن التقيت بك ، أن تكون زوجًا لأختى ؟ وازدادت رغبتى فى تحقيق هذه الأمنية ، خاصة عندما علمت بأن (منال) تحبك .
الآن يمكننى أن أموت وأنا مطمئنة وسعيدة .
- لا أحب أن تقولى هذه الكلمة .. كما لا أريد أن تطلعى (منال) على أى شىء الآن .. قبل أن تسافرى لإجراء العملية ، وتشفى من مرضك .
- لكنى لن أسافر .. ولا يهمنى الآن أن أحيا أو أموت ، طالما اطمأننت على مستقبل أختى معك ..

عدنى أن تقترن بـ (منال) .. وأن أراكما زوجًا وزوجة قبل أن أفارق الحياة .

قال (خالد) وهو يحاول أن يستحثها على السفر :

ـ إذا أردت أن نقترن حقًا أنا و (منال) فعليك أن تنفذى ما طلبته منك أنا والدكتور (منير) .. وأن تسافرى لإجراء العملية بالخارج فلن يكون هناك أى ارتباط قبل أن تسافرى إلى أمريكا .

ـ حسن .. سأسافر .. سأفعل أى شىء تريده .. إذا وعدتنى بأنك لن تتخلى عن (منال) .

ـ أعدك بذلك .

★ ★ ★

أستقبلتها أختها بانفعال قائلة :

ـ أين كنت ؟

ـ لقد أخبرتك أننى ذاهبة للسير بجوار الكوبرى .

ـ كيف يمكنك الكذب هكذا ؟

ـ (منال) .. ماذا تقولين ؟

قالت لها وقد ازداد انفعالها :

ـ لقد رأيتك وأنت تلتقين به ، وتصحبينه فى سيارته .

ـ (منال) .. هل كنت تتبعيننى ؟

ـ نعم .. ولم أصدق ما رأته عيناى .

ـ ما الذى رأتيه ؟

ـ كيف .. كيف سمحت لنفسك ؟ أنت و(خالد) .. لماذا إذن كنت تحثيننى على .. إننى لا أصدق .. كيف سمحت له أن يخدعك ؟

ـ ما هذا الذى تقولينه ؟ ما الذى تصدقينه ؟ ومن هو الذى خدعنى ؟

أى حماقات هذه التى ترددينها ؟

قالت (منال) وهى تندفع نحو باب المنزل :

ـ سأذهب إليه .. لأوقفه عند حده .. يجب أن يبتعد عن طريقنا فإننا لسنا على شاكلة الفتيات اللاتى يعرفهن .. يجب أن أواجهه برأيى فيه بصراحة .

صاحت (ماجدة) منادية أختها :

ـ (منال) .. تراجعى عن هذه الحماقة التى تنوين ارتكابها .. لا يوجد أى شىء من تلك الترهات التى تتصورينها بينى وبين (خالد) .

لكنها لم تستمع لها بل اندفعت إلى الخارج ، وقد تملكها الغضب .

حاولت (ماجدة) أن تلحق بها .. لكنها أحست بنوبة الألم تهاجمها مرة أخرى .

تحاملت (ماجدة) على نفسها وهى تحاول التغلب على آلامها لتلحق بـ (منال) .

★ ★ ★

فوجئ (خالد) بـ (منال) وهى تقتحم عليه حجرته فى المنزل قائلة :

ـ إننى أحذرك .. ابتعد عن أختى !

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ (منال) .. ماذا تقولين ؟

ـ ما الذى تهدف إليه من وراء ذلك ؟ أتظن أنك تستطيع خداع الأختين ، وأن تعبث بمشاعر كل منهما بمثل هذه السهولة ؟!

ـ أنا لا أعرف عمَ تتحدثين .

ـ تحاول أن توهمنى بأنك تكن لى بعض المشاعر ، ثم تحاول أن تفعل نفس الشىء مع أختى ؟! ألا يوجد لديك ضمير ؟!

ـ إنك مخطئة تماماً فيما تظنينه .

ـ أتحاول أن تخدعنى مرة أخرى ؟

وفى تلك اللحظة حضر (منير) إلى المنزل ليستمع إلى جزء من تلك المحادثة الصاخبة .

وحاول أن يتدخل .. ليفهم (منال) الأمر .. لكنها كانت ثائرة على نحو لم يمكنه من ذلك .

وما لبثت أن حضرت (ماجدة) ، حيث نادت أختها بصوت واهن قائلة :

ـ (منال) .. أرجوك توقفى عما تفعلينه .

ثم تهاوت إلى الأرض ، وهى فى حالة إعياء تامة .

★ ★ ★

انتهى (منير) من فحصها .. ثم غادر الحجرة ، وهو ينظر إلى (خالد) نظرة تنم عن اليأس قائلاً :

ـ لا أمل .. إنها تحتضر

أغمض (خالد) عينيه وقد تملكه حزن عميق .

انهمرت الدموع غزيرةً من عينى (منال) ، وهى تجلس إلى جوار أختها قائلة وهى تنتحب :

ـ سامحينى يا أختى .. سامحينى .. فلم أكن أعرف .

فتحت (ماجدة) عينيها بصعوبة وهى تمد أصابعها المرتجفة لتلامس أصابع أختها .

ثم ما لبثت أن أمسكت بيدها قائلة بصوت واهن :

ـ إن (خالد) يحبك يا (منال) .. فحافظى عليه .. لقد اعترف لى هو بنفسه بذلك ، أرجوك لا تحرمى نفسك من السعادة .

ألقت (منال) برأسها فوق كتف أختها ، وقد انخرطت فى بكاء حار قائلة :

ـ أنا التى أتوسل إليك ألا ترحلى وتركينى .. فليس لى سواك .

مسحت (ماجدة) بيدها المرتجفة على شعر أختها ، قائلة بصوت يزداد وهنًا :

ـ لا تبكى أيتها الحمقاء .. فأنا ذاهبة للقاء أبى وأمى .

وعادت لتفتح عينيها بصعوبة مرة أخرى ، وهى ترى أمامها (خالد) و (منير) ، وهما يتطلعان إليها بعيون ملؤها الحزن والأسى .

قالت لـ (خالد) وهى تتكلم بصعوبة :

ـ آسفة .. لن أستطيع أن أفى بوعدى لك بالسفر إلى أمريكا ، وإجراء العملية ، فلم يعد لدى الوقت الكافى للقيام بهذه الرحلة ، لكن هذا لن يمنعك من الوفاء بوعدك لى .. أليس كذلك ؟

إننى أترك (منال) أمانة بين يديك .

مسح بيده على جبينها قائلاً :

ـ اطمئنى .. أنت تعرفين مقدار حبى لها .

نظرت إلى (منير) قائلة :

ـ دكتور (منير) .. آسفة إن كنت قد خيبت رجاءك .. لكن الأمر لم يكن بيدى .

وابتسمت فى مرارة وهى تردف قائلة :

ـ يبدو أن الموت متلهف للقائى ، حتى إنه يأبى أن ينتظر الأشهر التى حددها لى الأطباء .

اقترب (منير) من فراشها ، وهو يتطلع إليها بعينين عميقتين .. تلكما العينين اللتين أحبتهما منذ الوهلة الأولى .

كانت عيناه حزينتين بقدر عمقهما .

تناول (منير) رسغها ليقيس نبضها .. الذى أخذ يزداد ضعفًا .

بينما عادت لتفتح عينيها مرة أخرى ، وهى تقاوم الآلام الشديدة التى تجتاح رأسها ، وقد تصبب العرق على جبينها غزيرًا لتلقى نظرة على (منير) و(خالد) .. ثم على أختها .

وما لبثت أن أغمضت عينيها للمرة الأخيرة ، وقد تراخت يدها القابضة على يد أختها .

بينما أرخى (منير) يدها الأخرى بجوار جسدها ، بعد أن توقف النبض .

ثم قام بجذب ملاءة السرير ليغطى بها وجهها .

صرخت (منال) حزنًا على أختها وهى تناديها قائلة :

ـ (ماجدة) !!

بينما أخفى (منير) عبرات ترقرقت فى عينيه .

أما (خالد) فقد تقدم نحو (منال) ليحتويها بساعده .. حيث ألقت برأسها فوق كتفه ، وهى تنخرط فى بكاء عنيف .

لقد رحلت (ماجدة) عن الدنيا .. لكن الذين أحبوها لم ينسوها قط ..

[تمت بحمد اللّه]

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

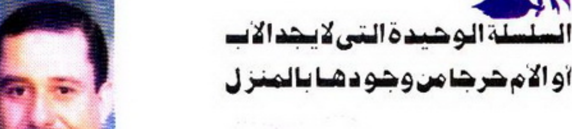
المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



المؤلف



ا. شريف شوق

آلام الحب

كان حبها مستحيلاً ..
لأنه حب ولد ليموت .. حاولت
(ماجدة) إخفاء سرها عن الذين
أحبتهم .. لكنها لم تنجح فى ذلك
طويلاً .. وكان يتعين عليها
الرحيل .. لكن الذين أحبوها
لم ينسوها قط ..

69

الثمن فى مصر ١٥٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم